

بَهجةُ الجنانِ

فِي تارِيخ تدْوِينِ القُرآنِ



الدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني

عميد كلية القرآن بالجامعة الإسلامية. كيرلا. الهند

مؤسسة نظام القرآن. الهند

بَهْجَةُ الجَنَانِ

فِيْ تَارِيْخِ تَدْوِينِ القُرْآنِ

بَهْجَةُ الجَنَانِ

فِيْ تَارِيْخِ تَدْوِينِ القُرْآنِ

نَظَرَاتٌ جَدِيْدَةٌ وَلَفَتَاتٌ بَارِعَةٌ فِيْ
تَارِيخْ حِفْظِ الْقُرْآنِ وَضَبْطِهِ، وَنَقْطِهِ وَشَكْلِهِ، وَجَمْعِهِ وَتدوِيْنِهِ

الدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني

عميد كلية القرآن بالجامعة الإسلامية. كيرلا. الهند

مؤسسة نظام القرآن للطباعة والنشر. الهند

الطبعة الأولى

2014م-1435ه

نشر وتوزيع:

مؤسسة نظام القرآن للطباعة والنشر

بلريا كنج. أعظم كره. أترابراديش. الهند. 276121

البريد الإلكتروني: mail2nizamulquran@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا هو، لا شريك له، ونشهد أن حبيبنا وزعيمنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى كل من أحبهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فكم أنعم الله علينا حينما تكفل بحفظ قرآنه العظيم، فقال عزّ من قائل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُونَ﴾[1]

وقال عزّ وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. ﴾[2]

فما كنا قادرين على حفظ هذا القرآن أبدا، لو لا حفظ الله ورعايته الساهرة، التي حفظته من كيد الكائدين، وحفظته من مكر الماكرين!

فالقرآن محارَب منذ نزوله، والجهود المشئومة، التي بُذلت لمحوه وإطفاء نوره، جهود رهيبة جبّارة، والأعداء لم يتركوا طريقا لتكدير صفو القرآن وشوبه بما ليس منه إلا وسلكوه، ولم يتركوا أسلوبا للتشكيك في شأنه، ولبسه على الناس إلا وا تخذوه، ولم يدعوا خطّة كان من شأنها أن تشفي صدورهم، وتذهب غيظ قلوبهم إلا ونفّذوها، ونفّذوها بكل مكر ودهاء!

---

[1] سورة الحجر:9

[2] سورة فصلت: 42

فهذه العداوة لم تكن معلنة، ولم تظهر قط بأجيجها ولهيبها، بل ظهرت في ثوب العلم والثقافة، وظهر أهلها في ثوب الخبير الأمين، الذي يوفر معلومات دقيقة عن القرآن وأهله!

وتلك المعلومات- وكانت مغشوشة ومزوّرة – وجدت طريقها إلى كتب التراث، واستقرت فيها، ثم انتشرت واستفاضت حتى سيطرت على الأذهان، وتداولتها الشيب والشبّان، وتحدثت بها النساء والولدان؛ فإن الموضوع هو موضوع القرآن، وهويهمّ كل من كان في قلبه إيمان!

وهنا قد يقال: إن خفي هذا المكر والدهاء على عامة المسلمين، فكيف خفي على أئمة الحديث وأئمة التاريخ؟ وهُم هُم في ذكائهم وألمعيّتهم!

وكيف أفسح هؤلاء الأعلام في كتبهم وجوامعهم المجال لهؤلاء الأعداء؟ وكيف أسهبوا في ذكر رواياتهم، وفيها ما فيها؟

نقول: نحن نحسن الظن بهؤلاء الجهابذة الأعلام، ونكنّ لهم كل حب وكل تقدير، ونظنّ أنهم برءاء من كل هذه المشاكل، ومن كل تلك الموبقات.

ويغلب على الظن أن الورّاقين من الموالي الأعاجم، الذين كانوا يحملون الضغن على القرآن؛ وذلك لأن المسلمين فتحوا بلادهم، وأزالوا سلطانهم، هؤلاء الوراقون هم الذين لعبوا دورهم الخطير في تلك المعارك الخفيّة الباردة ضد القرآن، وأهل القرآن.

هم الذين دسّوا تلك الموبقات في جوامع المحدثين ومسانيدهم حينما واتتهم الفرص، وكم كانت تواتيهم تلك الفرص بسبب تأنقهم في الكتابة! فالعلماء كانوا يرجعون إليهم كلما أرادوا تبييض مسوداتهم، أو استنساخ كتبهم!

ولعلهم لم يدقّقوا في مراجعة نسخهم، أو كتاباتهم لكونهم موضع ثقة لديهم، أو إذا أرادوا أن يراجعوها، استعانوا بغيرهم، ولم يكن منهم ذلك الجدّ، وذاك الاهتمام، وقد قيل قديما: ما حكّ جلدك مثل ظفرك!

والذين جاءوا من بعدهم نظروا إلى تلك الجوامع وتلك المسانيد بعين التقديس والإجلال، وتلقّفوها كما هي، مطمئنين إلى صحة محتوياتها، ولم يخطر ببالهم أن هناك أيد خفيّة عملت في الظلام لتكدير صفوها، وشوبها بما ليس منها!

وعلى أية حال، فتلك الجوامع وتلك المسانيد تسرب إليها ما لا يناسبها، سواء كان ذلك مما عملته أيدي الوراقين، أم كان ذلك من هفوات أصحابها، فكل إنسان يصيب ويخطئ، وليست العصمة إلا لله عز وجل، وقد قيل، ونعم ما قيل: لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة!

وليس من الحزم، وليس من العدل أن نحرص على كل ما في تلك الجوامع والمسانيد، ونصرّ على صحته من غير بحث ولا تمحيص. ولاسيما إذا كان شيء يمس كرامة القرآن، و يمس كرامة رسول الله، ويمس كرامة تلك الثلة المباركة من أصحاب رسول الله.

ولقد درسنا الروايات التي تتصل بجمع القرآن وتدوينه دراسة موضوعية جادة، وقتلناها بحثا و تمحيصا، وخبرناها سنداً ومتناً، وأقمنا عليها إقامة طويلة تمتدّ إلى سنين، وبعد ذلك سجلنا الحقائق التي ظهرت لنا مثل ظهور الشمس في ريع الضحى، واستطعنا أن نبدّد الشبهات التي نسجت حبالها في الظلام.

ولم يتيسر لنا هذا العمل إلا بعون من الله وحسن توفيقه، فلم يكن من السهل إزاحة تلك الحجب الثخينة عن وجه الحقائق، وكانت مظلمة متراكمة، ولكن الله سبحانه وتعالى يسر الأمور، وذلل الصعاب، وكشف الظلام حتى أسفر الصبح لذي عينين.

ولعل الذي ساعد الأعداء في قلب الحقائق هي تلك الإشاعات التي أشاعوها في العالم كله بخصوص تدوين القرآن، حيث أشاعوا أن القرآن لم يجمع ولم يرتب ولم يدون إلا بعد وفاة رسول الله!

والمسلمون صدّقوا هذه الشائعة، ولم يكذّبوها، وحينما صدّقوها غُلبوا على أمرهم، واضطروا أن يصدّقوا كل ما يتبعها من أكاذيب وافتراءات بخصوص القرآن!

* فصدّقوا حينما قيل لهم: كان يوجد اختلاف بين الصحابة في أعداد سور القرآن، فكان منهم من لا يرى سورة الفاتحة وسورتي المعوذتين من القرآن!

* وصدّقوا حينما قيل لهم: كان يوجد بين الصحابة اختلاف في ترتيب سور القرآن، فكان بعضهم- مثلا- يقدم سورة النساء على سورة آل عمران، وبعضهم يفعل العكس!

* وصدّقوا حينما قيل لهم: ترتيب الآيات من رسول الله، وترتيب السور اجتهاد من الصحابة!

* وصدّقوا حينما قيل لهم: كان يوجد بين الصحابة اختلاف في القراءات، وهذا الاختلاف قد أدى تلاميذهم إلى التكفير والتفسيق لغيرهم ممن لا يقرأ قراءتهم، وكادوا يقتتلون فيما بينهم!

* وصدّقوا حينما قيل لهم: جمع هذا القرآن بشهادة شاهدين، وفي بعض الأحيان بشهادة شاهد واحد، فالقرآن كله جاء عن طريق الآحاد، وليس من التواتر في شيء!

* وصدّقوا حينما قيل لهم: جمع القرآن بعد رسول الله مرتين، مرة في عهد سيدنا أبي بكر، وأخرى في عهد سيدنا عثمان، وكان الجمع الثاني مختلفا عن الجمع الأول!

* وصدّقوا حينما قيل لهم: يجوز التقديم والتأخير في القرآن! فقد روى يونس بن محمد: حدثنا أبو أويس، سألت الزهري عن التقديم والتأخير في الحديث، فقال: إن هذا يجوز في القرآن، فكيف به في الحديث؟[3]

فتلك البلايا لم يقع فيها المسلمون إلا بعد ما صدّقوا أن القرآن لم يدوّن في حياة رسول الله، وإنما دوّن بعدما غادر عليه الصلاة والسلام هذه الدنيا، ولحق بالرفيق الأعلى.

ولو أنهم ردوا تلك الشبهة الأولى، ولم يستكينوا لها، لكانوا في نجوة مما تبعها من شبهات، ولكنها كانت غارة شعواء، فلم يستطيعوا لها سدا، ولم يستطيعوا لها دفعا!

ومع ذلك، فلا مبرر للركون إلى تلك الشبهة، أو لتصديق تلك الشائعة، فالنصوص والقرائن كلها متضافرة على أن رسولنا عليه الصلاة والسلام لم يفارق أصحابه إلا بعد ما دوّن لهم هذا القرآن العظيم بين الدفتين، ولم يترك لهم إلا أن ينشروه في أرجاء المعمورة ، وينوّروا العالم كله بأنوار رسالته المباركة.

ولقد حاولنا في هذا البحث المتواضع أن نهدم هذه الشبهة الرئيس، ونهدم ما يتبعها من شبهات، وحاولنا أن نهدمها جميعا هدما علميّا مقنعا، فإن كان حليفنا النجاح فيما قصدنا، فذلك توفيق من الله، وإن كان غير ذلك، فلاأقل من أن تكون حاجة في نفس يعقوب قضاها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

[3] الذهبي– سير أعلام النبلاء– أخبار الزهري :423/9

ولا يفوتنا أن نذكر هنا علما من أعلام الحديث في بلاد الهند، ألا وهو العلامة عبد اللطيف رحماني، فقد كان رحمه الله من علماء القرن الماضي، حيث توفي في جمادى الآخرة سنة1379 من الهجرة.

وكان صاحب مؤلفات قيمة في علم الحديث، منها (لطف الباري في شرح صحيح البخاري) و(الشرح اللطيف لسنن الترمذي).

وأنشأ أيضا سفرا نفيسا في تاريخ جمع القرآن وتدوينه، وأسماه (تاريخ القرآن)، وأبطل فيه القول القائل بأن القرآن جمع ودوّن في عهد سيدنا أبي بكر، ثم في عهد سيدنا عثمان، وأورد إشكالات كثيرة على الروايات التي رويت بخصوص جمع القرآن وتدوينه بعد وفاة رسول الله، وجاء بأدلة قوية واضحة تثبت أنه كان مرتبا ومدونا في حياة رسول الله.

والكتاب باللغة الأردية، ويتسم بالأسلوب العلمي، وهو أحسن ما اطلعنا عليه في هذا الموضوع، فجزاه الله عن القرآن وأهله خير الجزاء.

هذا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم.

محمد عناية الله أسد سبحاني

الباب الأول

المرويّات في تدوين القرآن: إشكالات وتساؤلات

وحي القرآن لم يكتب في يوم من الأيام على العسب، واللخاف، وأكتاف الإبل، وأضلاع الشاء، وما إليها، فإن العرب لم يستعملوا تلك الأشياء للكتابة قط، وإنما كانوا يكتبون، كلما أرادوا أن يكتبوا، على الرقّ والأديم والقرطاس، والقرآن كتب من أول يوم على الرقّ والأديم والقرطاس، وكان في صحف مكرمة.

وإذا كان القرآن مكتوبا على الرق والأديم والقرطاس، وكان في صحف مكرّمة، لزم أن يكتب كل وحي على ترتيبه في اللوح المحفوظ، حتى يتيسر للناس حفظ الآيات على ترتيبها. ويوحي الموقف أن كل وحي كان يكتب على رقّ جديد مستقل، على طريقة البطاقات الحديثة، عند الباحثين في العصر الحديث. حتى يمكن تقديمه وتأخيره بكل سهولة، وحتى يوضع الوحي الجديد في موضعه بين المجموعات من الآيات التي سبق نزولها من غير أيّ صعوبة، وحتى يتم ترتيب الآيات وفق اللوح المحفوظ في لحظات.

وعلى هذا، لمّا قُضي الوحي، وضرب التنزيل بجرانه، كان القرآن كله مجموعا ومرتبا بآياته وسوره، بطبيعة الحال، وقبل اكتمال الوحي أيضا، لم يكن غير مرتب في يوم من الأيام، بل القدر الموجود من القرآن كان دائما مرتبا بتعليم وتوجيه من سيدنا جبريل عليه السلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

لا بد من تاريخ وضيء مشرق!

من البديهيات المعروفة أن تاريخ كل شيء يكون حسب أحواله، فإن كان الشيء يجلّله المجد، ويكسوه الشموخ، كان تاريخه مضيئا متلألأ بكواكب المجد والشموخ، وإن كان جيده عاطلا من حُليّ المجد و الشموخ، كان تاريخه بعيدا من كل معاني المجد والشموخ.

هذا أصل معلوم ومسلّم بلا خلاف، فقد أنجبت الدنيا في تاريخها الطويل الممتدّ إلى آلاف القرون، أفواجا من العظماء والعباقرة، وأفواجا من العلماء والجهابذة، وكتب لكثير منهم تاريخ بطولاتهم وإنجازاتهم، وتاريخ عبقريّاتهم ومهاراتهم.

وتاريخ كل منهم يختلف عن تاريخ غيره حسب بطولاته وإنجازاته، وحسب مهاراته وعبقرياته، ولن تجد تاريخ أيّ عظيم عبقريّ يساوي تاريخ أعظم العظماء ورأس العباقرة، ألا وهو محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وهو شيء اعترف به الصديق والعدوّ. فيهوديّ يقوم ليضع قائمة أعاظم عظماء البشرية عبر تاريخها، ويختار مائة عظيم كانوا عنده قمة في العظمة، ولايمكنه أثناء دراسته أن يتناسى أو يتجاهل شخصية محمد عليه الصلاة

والسلام، بل لايملك إلا أن يضعه في المكان الذي لايصلح لغيره، ويضعه في رأس القائمة، ويعتبره أعظم عظيم في التاريخ.

والفرق الذي يوجد بين تاريخ نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وتاريخ غيره نتيجة طبيعية للفرق الذي كان بين شخصيته وشخصية غيره، فلن يستوي تاريخ عظيم، وتاريخ أعظم عظيم في التاريخ!

هذا هو الأصل في كتب التاريخ، فكل تاريخ يكون مرآة لصاحبه، ويكون عنوانا لمجده وكرامته، ولكن لماذا انتقض هذا الأصل تماما في شأن القرآن؟

ومن أين وُلد له تاريخ لا يتناسب معه بحال من الأحوال؟

فالتاريخ الذي يُحكى لقرآننا العظيم تاريخ مليء بالغرائب! تاريخ مليء بالمطاعن! تاريخ مليء بما يضع عليه علامات الاستفهام! تاريخ مليء بما يوقفه في قفص الاتهام!

تاريخ لا إشراق فيه ولا جمال! تاريخ لا عظمة فيه ولا جاذبيّة! تاريخ لا شموخ فيه ولا سموّ!

طود منيف لا تعطوه الأيدي!

وهذا الوضع لا يملي علينا أن نرضى بكوننا دائما في حالة الدفاع عن قرآننا، فقرآننا ليس بحاجة إلى دفاع، فذلك طود منيف لا تعطوه الأيدي!

وإنما أخطاؤنا هي التي أوقفتنا موقف الدفاع، فقد وقعنا في أخطاء جسام في تاريخ تدوين القرآن، ولابد من تشخيص تلك الأخطاء، والتخلص منها.

لابد من دراسة هذا التاريخ نفسه دراسة موضوعية جادة، حتى نميز الخبيث من الطيب، ونعرف الغث من السمين.

لا نقول: حسبنا ما فعله الأولون، فقد درسوا هذا التاريخ وبحثوه!

لا نقول ذلك، مع احترامنا وتقديرنا الشديد لما فعله الأولون، فرحلة البحث والدراسة ليست لها نهاية، ومن شأنها أن تستمرّ دائبة من غير انقطاع.

لابد من دراسة هذا التاريخ من جديد، لابد من دراسته دراسة فاحصة مؤمنة تتناسب مع عظمة كتاب الله، حتى تزول المشكلة، وتتجلى الحقيقة واضحة سافرة بإذن الله!

إن تاريخ قرآننا لا يكون إلا كتاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام، تاريخا فذّا في عظمته، تاريخا تجُلّله العظمة من جميع أطرافه، ويكون وضيئا مشرقا من جميع جوانبه.

فلنتوكل على الله، ولنبدأ جولتنا هذه بدراسة الروايات التي تناولت هذا الموضوع، والتي كانت موضع اهتمام الباحثين عموما، وعلى رأسها روايات صحيح البخاري، فلنبدأ بها.

رواية البخاري في تدوين القرآن:

روى البخاري، حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني ابن السباق أن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وكان ممن يكتب الوحي، قال:

أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن.

قال أبو بكر: قلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر.

قال زيد بن ثابت، وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم؟

فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ إلى آخرهما .

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

تابعه عثمان بن عمر و الليث عن يونس عن ابن شهاب. وقال الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب وقال مع أبي خزيمة الأنصاري. وقال موسى عن إبراهيم حدثنا ابن شهاب مع أبي خزيمة. وتابعه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه. وقال أبو ثابت حدثنا إبراهيم وقال مع خزيمة أو أبي خزيمة.[4]

هذا ما رواه الإمام البخاري في موضوع جمع القرآن وتدوينه، وتلك الرواية وأمثالها تعتبر الأصل في هذا الموضوع. وهي صريحة في أن القرآن لم يرتب، ولم يدوّن في حياة رسول الله، وإنما بقي في صورة أجزاء، وقراطيس مفرّقة عند الناس.

---

[4] صحيح البخاري،سورة البراءة:4679/256/3

وظلّ الأمر هكذا، إلى أن جاءت حرب اليمامة، وتلك الحرب الضروس بنتائجها الرهيبة، وضحاياها المدهشة، هي التي أفزعت سيدنا عمر، وألقت في روعه ضرورة جمع القرآن قبل أن تأكل الحروب من يحفظه، ثم هو أقنع خليفة رسول الله أبابكر، حتى اقتنع بكلامه، وأمر بجمعه وتدوينه.

ومن يطّلع على تلك الروايات، وينعم فيها النظر، يجد نفسه حتماً أمام حشد من التساؤلات، وهي كما يلي:

تساؤلات وإشكالات

الإشكال الأول:

هل فارق رسول الله أصحابه، وغادر الدنيا، ولم يجمع القرآن، ولم يدونه، ولم يرتبه، ولم يحصّنه، ولم يحكم الأسوار حوله، ولم يطمئن إلى حفظه، وصيانته من الضياع؟ مع أنه لم يكن هناك شيء يحول دونه ودون جمع القرآن، بل الأسباب كلها كانت مواتية، وكانت الدواعي متوافرة لجمعه، وتدوينه.

الإشكال الثاني:

هل تلهى رسول الله عن تدوين القرآن، وهو على علم بما أصيبت به الأمم السالفة بعد رسلهم، حيث ضيعوا ما جاءت به رسلهم من كتاب الله، وتلاعبوا به، وأحدثوا فيه ما أملت عليهم أهواؤهم، من تحريف وتبديل، ونقص وزيادة!

فعلوا ذلك كله، مع أن رسلهم لم يفارقوهم، إلا بعد ما دونوا كتبهم، وحصّنوها من أيّ تحريف أوتبديل، حتى لا يتلاعب بها المتلاعبون.

فهل ذهل رسول الله عن تاريخ الأمم، وعن تاريخ الكتب، حتى ذهل عن تدوين القرآن؟

الإشكال الثالث:

هل تلهى عنه رسول الله وهو على علم بأن القرآن خاتم الكتب، كما أنه خاتم الأنبياء، وإن كان تفريط في حفظه، وتدوينه، وحصل فيه شيء من تقديم أو تأخير، أو تبديل أو تحريف فهو خزي الأبد، حيث لا يأتي بعده كتاب يهدي الناس إلى الرشد، ويصلح ما فسد من أمرهم، ويذكّرهم بما نسوا من كتاب ربهم.

الإشكال الرابع:

قيل: إن الذي دفع الشيخين إلى جمع القرآن وتدوينه، هو ما استحر يوم اليمامة من قتل القراء، حيث فزع عمر، وأفزع أبابكر، قال: "إني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن."

وهنا يحضرنا ما روى القرطبي، قال: "قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي ببئر معونة مثل هذا العدد" [5]

فإن فزع سيدنا عمر، وهاله قتل سبعين من القراء في يوم اليمامة، ألايفزع نبينا عليه السلام من قتل مثل هذا العدد ببئر معونة؟ وهل يقرّ له قرار دون أن يأخذ الاحتياطات اللازمة لحفظ القرآن وتدوينه؟

الإشكال الخامس:

هل شُغل رسول الله عن جمع القرآن وتدوينه، مع أنه بعث بالقرآن، وبعث لأجل القرآن، وما عاش إلا للقرآن، ولذلك نراه عليه الصلاة والسلام لم يلبث بعد اكتمال نزول القرآن إلا قليلا، حتى ودّع الناس، ولحق بالرفيق الأعلى؟

---

[5] الإتقان في علوم القرآن: باب: في معرفة حفاظه ورواته: 94/1

فـإذا كـان القـرآن غايـة غاياتـه، وأوجـب واجباتـه، وأهـم أهدافـه، فهـل مـن الممكن أن يقر له قرار، ويهدأ له بال دون أن يطمئن إلى حفظـه وصيانته مـن أي نقص أو زيادة، ودون أن يطمئن إلى ترتيب آياته وسـوره، ويطمـئن إلى تحصـينه وتدوينه بين الدفتين؟

الإشكال السادس:

إن لم يستطع رسول الله أن يجمع القرآن، ويرتبـه، ويدوّنـه بـين الـدفتين، في حياته، فما الذي منعه من الوصـية بجمعـه، وتدوينـه بعـد وفاتـه،كما وصّى بـأمور كثيرة، مثل تسيير جيش أسامة،حيث كان يردّد، وهو في الرمق الأخير من حياته:

"أنفذوا جيش أُسامة، أنفذوا جيش أُسامة" [6]

وكما وصى بالإحسان إلى الأنصار، حيث قـال عليـه السـلام في خطبـة قبـل وفاته:

"يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرا، إنهم كانوا عيبتي التي أويـت إليهم، فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم." [7]

وكما وصّى بسد كل خَوخة إلا خَوخة أبي بكر حيث قال:

(إن أمنّ الناس عليّ في بدنه، و دينه، و ذات يده أبو بكر، و لـو كنـت متخـذا خليلا لا تخـذت أبـا بكـر خليلا، و لكـن أخـوة الإسـلام، سـدّوا كـل خوخـة في المسجد إلا خوخة أبي بكر.) [8]

فإن وصى رسول الله بتلك الأمور وغيرها في حين وفاتـه، فـأيّ شيء يمنعـه مـن الوصية بجمع القرآن وتدوينه، وهو أكبر همومه، وأوجب واجباته، وغاية غاياته؟

[6] ابن سعد، الطبقات الكبرى، الطبقة الثانية من المهاجرين: 50/4

[7] السيرة الحلبية:461/3

[8] السيرةلابن حبان، ذكر وفاة رسول الله: 397/1

الإشكال السابع:

لقد وصى المسلمين رسولهم في خطبة الوداع بالتمسك بكتاب الله، حيث قال:

"أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا، كتاب الله، فاعملوا به" [9]

فهل يتصوّر أن يوصى المسلمين رسولهم بالتمسك بالكتاب، وتطبيقه في حياتهم، ولا يُعنى بجمعه و ترتيبه وتدوينه، حتى يمنع الزمن أن يتطرق إليه بشيء، وحتى يجعله بذلك فوق الزمن؟

الإشكال الثامن:

إن كان القرآن لم يدوّن بعدُ، ورأى أبوبكر وعمر ضرورة تدوينه، فهل يُسند هذا الأمر الخطير العظيم إلى شخص واحد يتولاه؟ فالأمر كان جللا، وكان خطيرا جدّ خطير، وكان يتطلب أن يجُمع له السابقون الأولون، ويجُمع له الأنصار والمهاجرون، بل يجُمع له المسلمون كلهم، ثم تشكل لجنة تضمّ ناسا يكونون موضع ثقة وتقدير عند الجميع، وهم ينجزون هذا العمل العظيم بتعاون الجميع، حتى يكون ذلك عملا جماعيا، ولا يكون عملا فرديا، فإن العمل الفردي مهما أُجيد وأتقن، فلن يكون كالعمل الجماعي في دقّته وجودته، ولن ينال ثقة الجميع.

الإشكال التاسع:

وقد كان من سنة الخلفاء الراشدين أنهم ما كانوا يستبدّون بالأمر مثل الملوك الغاشمين، بل كلما حزبهم أمر، أو نابتهم نائبة، جمعوا المهاجرين والأنصار، و طرحوا أمامهم ما حزبهم، وأفسحوا لهم المجال، حتى يبدوا

---

[9] ابن كثير،السيرة النبوية :404/4

رأيهم، ويشاركوهم في دفع ما نابهم، ويساعدوهم في حلّ ما أشكل عليهم. وكلهم كانوا إخوة في الله، ينصح بعضهم لبعض.

الإشكال العاشر:

وإن سلّمنا – وإن لم يكن له أيّ مبرّر – أن أبابكر وعمر استبدّا بالأمر دون القوم، وأسندا جمع القرآن إلى شخص واحد، هو زيد بن ثابت الأنصاري، فماذا فُعِل بما جمعه زيد بن ثابت؟

تقول الروايات: إن الصحف التي جمع فيها القرآن كانت عند أبي بكر، حتى توفاه الله، ثم عند عمر، حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

وهذا يفيد أن تلك الصحف ما انتُسخت، وما نُشرت، وما وصلت إلى أيدي الناس. بل بقيت حبيس بيت الخلافة، فهل كان هذا الجمع لزينة بيت الخلافة، أم كان للناس، حتى يكون كل شخص مع كتاب الله؟

وإذا كانت تلك الصحف حبيس بيت الخلافة، فماذا فعل الناس بعدها؟

هل بقوا بغير قرآن؟ أم جمعوا القرآن لأنفسهم مرة أخرى بعد جمع زيد بن ثابت؟ وهل كان ذلك الجمع أيضا جمعا فرديا كسابقه، أم كان جمعا جماعيا؟

تلك تساؤلات تنتظر ردوداً مقنعة، ولكن الروايات ساكتة عنها!

الإشكال الحادي عشر:

وماذا قصد زيد بن ثابت؟ حينما قال: "حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ إلى آخرهما".

هل نسيهما المسلمون كلهم، وفيهم أبوبكر وعمر! وفيهم عثمان وعلي! وفيهم مئات من الصحابة، الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وكانوا يحيون لياليهم بالقرآن، ويقضون نهارهم مع القرآن يتدارسونه فيما بينهم؟!

هل نسي هؤلاء كلهم تينك الآيتين – الآيتين اللتين هما أعذب وأحلى من العسل، وأسنى من القمر في ليلة البدر؟!

وإن نسي المسلمون كلهم تينك الآيتين الحلوتين الجميلتين، فمن يضمن ألا يكونوا قد نسوا غيرهما؟

الإشكال الثاني عشر:

ماذا قصد زيد بن ثابت حينما قال: "فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن"؟

وماذا كان عمله؟ وكيف كانت خطته في جمع القرآن؟ وأين ذهبت تلك الصحف التي كان يكتبها كتّاب الوحي، كلّما كان يأتي الوحي، وهو منهم؟ فإننا لا نسمع لها صدىً في عمليّة جمع القرآن؟

الإشكال الثالث عشر:

الروايات ساكتة عموما عن ذكر الخطة التي اتبعها زيد بن ثابت في جمع القرآن، إلا ما أخرجه ابن أبى داود، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قال: قدم عمر، فقال: من تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والالواح والعسب، وكان زيد لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان.

وأخرج ابن أبى داود أيضا من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وقال لزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. [10]

---

[10] محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن الكريم،احتياط الصحابة في كتابة القرآن: 47/1

وأخرج ابن أشتة في المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب. وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده.

وروى ابن عساكر أن عثمان خطب في الناس يومئذ،- أي: في عهد خلافته- وعزم على كل رجل عنده شيء من كتاب الله، لما جاء به. فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم، فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دعاهم رجلا، رجلا، فناشدهم: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم. فلما فرغ من ذلك عثمان، قال: من أكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت. قال: فأى الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص.

قال: فليمل سعيد، وليكتب زيد.[11]

تلك الخطة، التي اتبعها زيدبن ثابت، واتبعها الخلفاء الراشدون في جمع القرآن، كما وردت به الروايات، وهنا يختلج في الذهن سؤال:

هل وصل إلينا القرآن عن طريق التواتر، أم وصل عن طريق الآحاد؟

إن كان جمع القرآن بشهادة شهيدين، وأحيانا بشهادة شاهد واحد، كما فُعل بخزيمة بن ثابت فما معنى دعوى التواتر في أمر القرآن؟

وإن جاء سيدنا عمر بن الخطاب بآية الرجم، وهو مصرّ على كونها من القرآن، وهو رجل صارم صدّيق، يرجح صدقه بالجبال! فإن لم تكتب آية الرجم في القرآن، ألا يكون ذلك مظنّة للشك في كون القرآن محفوظا من النقصان؟

---

[11] نفس المرجع: 1/49-51

الإشكال الرابع عشر:

وماذا قصد زيد بن ثابت حينما قال: "فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال"؟

هل كان يُكتب القرآن في أيام الوحي على الرقاع والأكتاف والعسب، واللخاف؟ هل استُخدمت تلك الأشياء لكتابة القرآن فقط، أم استخدمت لكتابة أشياء أخرى غير القرآن؟ هل كتبت المعلقات العشر، أو قصائد فحول الشعراء على العسب واللخاف؟ هل كانت الرسائل إلى الملوك والأمراء، والعهود والمواثيق بين القبائل، والعهود بين المسلمين واليهود، والعهود بين المسلمين وقريش، هل كانت كلها تكتب على كِسَر الأكتاف، وأضلاع الشاء؟

أيّ شيء كان يكتب على الأضلاع والأكتاف، وعلى العسب واللخاف حتى يكتب عليها القرآن؟ إن هذه الأشياء ما كانت تعتبر أبدا من أدوات الكتابة عند العرب، وما كتبوا عليها شيئا، فكيف بالقرآن؟

الإشكال الخامس عشر:

القرآن الكريم نفسه أرشد المؤمنين إلى أحسن شيء يكتبونه عليه، حينما قال:

﴿وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ.﴾ (سورة الطور: 1–3)

وكان الرَّقّ متوافرا عندهم، وهو جلد رقيق كان يصنع للكتابة، وكان يكتب فيه، وكان أسهل في الكتابة، وأسهل في القراءة، وأسهل في الترتيب، وأسهل في المراجعة، وأسهل في الحمل والنقل، فما الذي صرف المسلمين عن الرَّق إلى غيره؟

الرَقّ في كلام العرب:

وليس أن القرآن الكريم أرشد المسلمين إلى استخدام الرق للكتابة فحسب، بل العرب كانوا يستخدمونه للكتابة، من قبل نزول الآية، ويذكرونه كثيرا في شعرهم.

قال الأخنس بن شهاب التغلبي:

لِابْنَةِ حِطَّانَ بنِ عَوْفٍ مَنازِلٌ ... كما رَقَّشَ العُنْوانَ في الرّقّ كاتِبُ [12]

وقال طرفة بن العبد:

كسطور الرق رقشه ... بالضحى مرقش يشمه [13]

وقال حاتم الطائي:

أتعرفُ آثارَ الديار توهُّماً ... كَخَطِّك في رَقٍّ كتاباً مُنَمْنما [14]

وقال المتلمس:

فكأنما هي من تقادم عهدها ... رقّ أ تيح كتا بها مسطور[15]

وقال حسان بن ثابت:

عرفت ديارَ زينبَ بالكثيبِ ... كخطّ الوحيِ في الرَّقّ القشيبِ [16]

وقال آخر:

يحَوكُهما ذَهبٌ في لجُيْنٍ ... كمَشْقِك في الرَّقِّ خَطّاً دَقِيقَا [17]

شواهد استخدام الأديم للكتابة:

وهناك شيء آخر من جنس الرقّ، وهو "الأديم"، كان يستخدمه العرب عادة للكتابة، وذكره موجود عند الشعراء، وموجود في الروايات، قال المرقش الأكبر:

---

[12] المفضليات ، ص: 410

[13] الأمالي في لغة العرب: 246/2

[14] الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، باب:بثينة تبوح لجميلة عن حب جميل: 204/8

[15] النكت والعيون (تفسير الماوردي): 377/5

[16] ديوان حسان بن ثابت: 82/1

[17] الشمشاطي، الأنوار ومحاسن الأشعار: 111/1

الدار قفر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم [18]

وأما الروايات، فهي كما يلي:

رواية أولى:

قال محمد بن السّائب: حدّثنا رجل من بني عقيل بن كعب، عن أشياخ قومه، قالوا: وفد منّا من بني عقيل بن كعب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومطرّف بن عبد الله، وأنس بن قيس بن المنتفق، فبايعوا وأسلموا، وبايعوه على من وراءهم من قومهم، فأعطاهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) العقيق، عقيق بني عقيل، وهي أرض فيها عيون ونخل وكتب لهم بذلك كتابا في أديم أحمر:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيعًا ومطرّفا وأنسًا؛ أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وسمعوا وأطاعوا" [19]

رواية أخرى:

وروى البيهقي، قال: أخبرنا أبو علي الروذباري أنبأ محمد بن بكر ثنا أبوداود ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا قرة قال سمعت يزيد بن عبد الله يعني بن الشخير قال: كنا بالمربد فجاء رجل أشعث الرأس بيده قطعة أديم أحمر فقلنا كأنك من أهل البادية قال أجل قلنا ناولنا هذه القطعة الأديم فناولناها فقرأنا ما فيها فإذا فيها من محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بني زهير بن أقيش أنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة

[18] البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، باب ما قيل في المخاطر والعصى وغيرهما

[19] نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، 18/ 32

وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم الصفي أنتم آمنون بأمان الله ورسوله فقلنا من كتب لك هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. [20]

رواية أخرى ثالثة:

وروى الطحاوي، قال: حدثنا صالح بن عبد الرحمن قال ثنا القعنبي قال ثنا سليمان بن بلال عن عتبة بن جبيرأن مروان بن الحكم: خطب فذكر مكة وحرمتها وأهلها ولم يذكر المدينة وحرمتها وأهلها فقام رافع بن خديج رضي الله عنه فقال مالي أسمعك ذكرت مكة وحرمتها وأهلها ولم تذكر المدينة وحرمتها وأهلها وقد حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين لابتي المدينة، وذلك عندنا في الأديم الخولاني إن شئت أقرأتكه، فقال مروان: قد سمعت حدثنا محمد بن خزيمة وفهد قالا ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني الليث قال حدثني بن الهاد عن أبي بكر محمد عن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن رافع بن خديج رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر مكة ثم قال إن إبراهيم عليه السلام حرم مكة وإني حرمت ما بين لابتيها يعني المدينة. [21]

رواية أخرى رابعة:

ورواه مسلم بشيء من الاختلاف، قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا سليمان بن بلال عن عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير أن مروان بن الحكم خطب الناس فذكر مكة وأهلها وحرمتها، ولم يذكر المدينة وأهلها وحرمتها، فناداه رافع بن خديج فقال: ما لى أسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها، ولم

---

[20] السنن الكبرى للبيهقي، باب ما أبيح له من سهم الصفي:13750/58/7

[21] الطحاوي، شرح معاني الآثار، باب صيد المدينة:5841/192/4

تذكر المدينة وأهلها وحرمتها؟ وقد حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ما بين لابتيها. وذلك عندنا فى أديم خولانى إن شئت أقرأتكه.

قال فسكت مروان ثم قال قد سمعت بعض ذلك.[22]

رواية أخرى خامسة:

وروى أبونعيم، حدثني أبي، عن أبيه، «أن أحمر بن معاوية، وشعيل بن أحمر، في رجالهم وأموالهم، فمن آذاهم فذمة الله منه خلية، إن كانوا صادقين، وكتب علي بن أبي طالب، وختم الكتاب بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أديما عكاظيا» [23]

رواية أخرى سادسة:

وروى أيضا، حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا أحمد بن محمد بن صدقة، ثنا محمد بن محمد بن مرزوق، حدثني عبد الغفار بن منقذ بن حصين بن حجوان بن أوفى بن مولة العنزي، عن أبيه، عن جده، عن أوفى بن مولة، قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأقطعني الغميم، وشرط علي، وابن السبيل أول ريان، فأقطع ساعدة رجلا منا بئرا بالفلاة يقال لها الجعونية، وهي بئر يخبأ فيها الماء وليست بالماء العذب، وأقطع إياس بن قتادة العنزي الجابية، وهي دون اليمامة وكنا أتيناه جميعا وكتب لكل رجل منا بذلك في أديم» [24]

الصحف والصحيفة:

وهناك لفظ آخر استعمله القرآن لشيء يكتب عليه، وهو لفظ (صحف) حيث قال تعالى:

---

[22] صحيح مسلم، باب فضل المدينة، ودعاء: 3382/112/4

[23] معرفة الصحابة لأبي نعيم، باب الأرقم: 1038/330/1

[24] نفس المصدر، باب الأرقم: 1108/362/1

﴿لم يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ. ﴾[25]

وقال تعالى:

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ. بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً..﴾[26]

قال الزمخشري: معه صحيفة، وصحف، وصحائف، وهي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه.[27]

وقال الأزدي:

والصُّحُف واحدتها صحيفة، وهي القطعة من أدَم أبيض أو رَقٍّ، يُكتب فيها.[28]

وتلك الألفاظ كانت معروفة عند العرب في الجاهلية والإسلام.

الصحيفة والصحائف في كلام العرب:

قال المُتَلَمِّس يُخاطِبْ طَرْفَة بن العَبْدِ:

أَلْقِ الصَّحِيْفَةَ لا أبا لكَ إنَّهُ ... يخْشى عليكَ من الحِبَاءِ النِّقْرِسُ[29]

وقال لقيط بن يعمر الأيادي:

سلام في الصحيفة من لقيط ... إلى من بالجزيرة من إياد

بأن الليث كسرى قد أتاكم ... فلا يشغلكم سَوقُ النِقَاد

أتاكم منهم ستون ألفاً ... يزجّون الكتائب كالجَراد

---

[25] سورة البينة: 1-3

[26] سورة المدثر: 49-52

[27] الزمخشري–أساس البلاغة: ص ح ف

[28] جمهرة اللغة:ص ح ف

[29] الصاغاني، العباب الزاخرواللباب الفاخر: نقس

على حنق أتَيْنكم فهذا ... أوان هلاككم كهلاك عاد [30]

وقال ابن الطثرية، وهو شاعر حماسي:

صحائف عندي للعتاب طويتها ... ستنشر يوما والعتاب طويل

فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة ... فحمل دمي يوم الحساب ثقيل[31]

سورة مكية مكتوبة في صحيفة:

ورد في قصة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب:

"فخرج عمر يوماً ومعه سيفه يريد النبي، صلى الله عليه وسلم، والمسلمين، وهم مجتمعون في دار الأرقم عند الصفا، وعنده من لم يهاجر من المسلمين في نحو أربعين رجلاً، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً الذي فرق أمر قريش وعاب دينها فأقتله. فقال نعيم: والله لقد غرتك نفسك، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهلك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهلي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة، فقد والله أسلما.

فرجع عمر إليهما وعندهما خباب بن الأرت يقرئهما القرآن. فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب وأخذت فاطمة الصحيفة فألقتها تحت فخذيها، وقد سمع عمر قراءة خباب. فلما دخل قال: ما هذه الهينمة؟ قالا: ما سمعت شيئاً؟ قال: بلى، قد أخبرت أنكما تابعتما محمداً، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته لتكفه، فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته: قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما شئت.

---

[30] ديوان لقيط بن يعمر الأيادي: ص 35- 36

[31] شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: باب النسيب، ص: 1343

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وقال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمد. قالت: إنا نخشاك عليها، فحلف أنه يعيدها. قالت له، وقد طمعت في إسلامه: إنك نجسٌ على شركك ولا يمسها إلا المطهرون، فقام فاغتسل. فأعطته الصحيفة وقرأها، وفيها: طه، وكان كاتباً، فلما قرأ بعضها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟!

فلما سمع خباب خرج إليه وقال: يا عمر إني والله لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول:

(اللهمّ أيّد الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام) الله يا عمر!

فقال عمر عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم." [32]

وروى أبوعبدالله الحاكم:

أخبرناه عبد الرحمن بن حمدان الجلاب، بهمدان، حدثنا محمد بن أحمد بن برد الأنطاكي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنيني، حدثنا أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، رضي الله عنه، قال: لما فتحت لي أختي، قلت: يا عدوة نفسها أصبوت؟ قالت ورفع شيئا فقالت: يا ابن الخطاب ما كنت صانعا فاصنعه فإني قد أسلمت. قال: فدخلت فجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط البيت فقلت: ما هذه الصحيفة هاهنا؟ فقالت: دعنا عنك يا ابن الخطاب أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون.[33]

---

[32] ابن الأثير- الكامل في التاريخ-ذكر إسلام عمر بن الخطاب: 58/2، وابن كثير- البداية والنهاية-باب هجرة أصحاب رسول الله: 3/100-101

[33] المستدرك على الصحيحين:6982/1323/1

ما كتب الوحي إلا في الرقّ:

فتلك الروايات تفيد أن القرآن الكريم كان يكتب منذ أوائل الإسلام في الصحيفة، حيث كانت سورة طه عند السيدة فاطمة بنت الخطاب مكتوبة في صحيفة، وذلك في عهد مبكّر، قبل دخول سيدنا عمر في دين الإسلام.

ولا نريد أن نطيل، فالرق والأديم هو الذي كان يستعمله العرب للكتابة كلما أرادوا أن يكتبوا شيئا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أيضا ما كانوا يكتبون إلا على الرق والأديم، والقرآن الكريم ما كان يكتب إلا على الرق والأديم.

وهذا الرق والأديم، بعد ما تكتب عليه الآيات أو غير الآيات، كان يسمى (الصحيفة). قال الفراهي:

الصحف جمع الصحيفة، وهي الورقة المكتوبة، كما سميت (صحيفة المتلمس)، و(صحيفة الجور).[34]

في صحف مكرمة مرفوعة!

وهناك آيات تفيد أن القرآن الكريم، منذ نزوله في مكة كان في صحف، فكلما نزلت آية أو سورة كتبت في الرقّ، قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ. فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ.﴾ (سورة عبس: 11-16)

ماقيل في تأويل تلك الآيات:

قال ابن عطية:

---

[34] الفراهي– مفردات القرآن: الصحف.

{في صحف} يتعلق بقوله: {إنها تذكرة}، وهذا يؤيد أن التذكرة يراد بها جميع القرآن.

وقال بعض المتأولين: الصحف هنا اللوح المحفوظ، وقيل: صحف الأنبياء المنزلة، وقيل: مصاحف المسلمين.

واختلف الناس في «السفرة»، فقال ابن عباس: هم الملائكة لأنهم كتبة يقال: سفرت أي كتبت، ومنه السفر، وقال ابن عباس أيضاً: الملائكة سفرة لأنهم يسفرون بين الله تعالى وبين أنبيائه.

وقال قتادة: هم القراء، وواحد السفرة سافر، وقال وهب بن منبه: هم الصحابة لأنهم بعضهم يسفر إلى بعض في الخبر والتعليم، والقول الأول أرجح.

و«الصحف» على هذا صحف عند الملائكة أو اللوح، وعلى القول الآخر هي المصاحف.[35]

وقال القرطبي:

قال وهب بن منبه: بِأَيْدِي سَفَرَةٍ.كِرامٍ بَرَرَةٍ هم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال ابن العربي: لقد كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفرة، كراما بررة، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية، ولا قاربوا المرادين بها، بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الإطلاق، ولا يشاركهم فيها سواهم، ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم.[36]

وقال الفخر الرازي: القول الثاني: في تفسير الصحف: أنها هي صحف الأنبياء لقوله: إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى [الأعلى: 18] يعني أن هذه التذكرة

---

[35] ابن عطية- المحرر الوجيز:سورة عبس، 38/8

[36] القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- سورة عبس، 140/10

مثبتة في صحف الأنبياء المتقدمين، والسفرة الكرام البررة هم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقيل هم القراء.[37]

تأويل يرجّحه السياق:

هذه خلاصة ما قيل في تأويل تلك الآيات، واختلف أهل التفسير في تأويل الصحف على ثلاثة أقوال: فبعضهم قالوا إن المراد بالصحف هنا هو اللوح المحفوظ، ولكن هذا القول ليس وراءه دليل يدعمه، فاللوح هو اللوح، وهو لا يسمى (صحف)، وسياق الآيات لا يشجعنا على هذا التأويل، إذ ليس في السياق ما يتطلب ذكر اللوح المحفوظ.

والقول الثاني يؤول الصحف إلى صحف الأنبياء المنزلة، ولكن هذا التأويل أيضا ليس له وجه، وسياق الآيات التي استندوا إليها لاختيار هذا التأويل يختلف عن سياق تلك الآيات، وأسلوبها يختلف عن أسلوبها، فالقرآن كلما ذكر الصحف المنزلة، ذكرها في سياق شيء معيّن محدّد مثل قوله تعالى:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى. أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى.﴾[38]

فمن سنة الله أنه لاتزر وازرة وزر أخرى، وليس للمرء إلا ما سعى، وهو يُجزى بما سعى الجزاء الأوفى، تلك سنة الله، وتلك سنة قديمة مذكورة في صحف إبراهيم، ومذكورة في صحف موسى.

---

[37] مفاتيح الغيب- سورة عبس: 56/31

[38] سورة النجم:41-36

وقال تعالى:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى. إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.﴾[39]

فكون الآخرة خيرا وأبقى حقيقة ثابتة مذكورة في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى.

وأما الآيات التي نتحدث عنها، فلونها يختلف عن لون تلك الآيات، حيث نراها عامة مطلقة بدون تعيين ولا تحديد:

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ. فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ.﴾

فهي تذكرة، فمن شاء أن يذكرها فليذكرها، وأين يذكرها من شاء أن يذكرها؟ يذكرها في الصحف التي في متناول يده، والتي تتلى عليه في صباحه ومسائه، لا في الصحف التي رُفعت، وما بقيت في أيدي الناس، وإن بقي منها شيء، فهو محرّف ومشوب بما ليس منه!

ونرى ابن عطية كان موفقا في قوله إذ قال:

{في صحف} يتعلق بقوله: {إنها تذكرة}، وهذا يؤيد أن التذكرة يراد بها جميع القرآن.

فالسياق هو سياق الإشادة بذكر القرآن، والتنويه بعظمته وعلوّ شأنه. والصفات كلها صفات هذا القرآن، الذي يستكبر عنه المستكبرون، وهي تظهر سفاهتهم وشناعة فجورهم أمام ربهم، وشناعة كفرانهم لنعمه التي أفاضها عليهم.

---

39 سورة الأعلى: 16-19

وأما قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ فصرفه إلى رسول الله وأصحابه أولى وأوضح من صرفه إلى الملائكة، ولقد أغرب ابن العربي إذ قال:

"لقد كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفرة، كراما بررة، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية، ولا قاربوا المرادين بها، بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الإطلاق، ولا يشاركهم فيها سواهم، ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم."

فهذا كلام منه غريب، كلام يعوزه الدليل، فما الذي جعل تلك اللفظة مخصوصة بالملائكة؟ لا شيء!

وأشد منه غرابة أنه وصل إلى العين ثم تقهقر، وأصاب كبد الحقيقة، ثم انصرف عنها!

معنى (سفرة):

قال الفراهي وهو يبين معنى (سفرة):

"هو جمع سافر: للكاتب والقارئ، من السفر للكتابة والقراءة. وهذه الكلمة باقية في العبرانية، وأصل معناها الخمش، ومنه الكتابة؛ فإن الكتابة كانت أولا بالخمش بقلم الحديد، ثم توسع للبيان والقراءة. فهذا اللفظ يفيد في العبرانية معنى الخمش والقراءة والكتابة. و(سافر) يفيد معنى الكاتب، والفقيه، والإمام، والقائد."[40]

فإذا كان لفظ (سفرة) يتضمن تلك المعاني التي ذكرها الفراهي، فما من شك في أن إطلاقه على رسول الله وأصحابه أظهر وأقرب من إطلاقه على الملائكة، ثم جاءت صفتان هما:

---

[40] انظر: الفراهي- مفردات القرآن- سفرة- ص:285-286

﴿كـرام بـررة﴾ وهمـا في مقابـل مـا جـاء للكـافرين المسـتكبرين في آخـر السورة، قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَـبَرَةٌ.تَرْهَقُهَـا قَتَرَةٌ. أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ.﴾ (سورة عبس: 38-42)

فما أروع المناسبة بين قوله تعالى: (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) وبين قوله تعالى: (وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) ! فالسفرة - وهم المؤمنون الذين يكتبـون القـرآن، ويقومـون بـه- تكون وجوههم يـوم القيامـة مسـفرة، وتكـون ضـاحكة مستبشـرة، وأمـا المعرضـون المستكبرون عن القرآن، فوجوههم تكون عليها غبرة، ترهقها قترة!

ثم ما أجمل المقابلة بين كرام بررة وبين الكفرة الفجرة!

سبب الانصراف عن هذا التأويل:

ولعل الذي صرف الناس عـن هـذا التأويـل مـع وضـوحه وروعتـه ومناسـبته للسياق، تلك الرواية التـي رواهـا أصـحاب السـنن والجوامـع، فقـد روى الإمـام مسلم:

حدثنا قتيبة بن سعيد و محمد بن عبيد الغبرى جميعا عـن أبـى عوانـة - قـال ابن عبيد حدثنا أبو عوانة - عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بـن هشـام عـن عائشة قالت قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - «الماهر بالقرآن مـع السـفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».[41]

وتلك الرواية تستوقف الناظر من الناحيتين: من ناحية أسانيدها، ومن ناحيـة مضمونها، أما مضمونها فهو لاينسجم مـع مضـمون الآيـات التـي ورد فيهـا ذكـر السفرة الكرام البررة، ولا ينسجم مع جوّها، وسياقها أيّ انسجام. ولقـد سـبق أن فصلناه تفصيلا.

---

[41] صحيح مسلم-باب فضل الماهر بالقرآن: 1898/195/2

وأما أسانيدها ففيها نظر من ناحيتين:

الناحية الأولى:

الرواية في جميع طرقها جاءت عنعنة عن أم المؤمنين عائشة، فسعد بن هشام يعنعن عن عائشة عند الجميع، ولا يقول في أي رواية إنه سمع هذا الحديث من عائشة، وإن عائشة هي التي حدثته، وفيه إشارة واضحة إلى أنه لم يسمع هذا الحديث من أم المؤمنين سماعا، وإنما بلغه هذا الكلام عنها من طريق راو آخر، وعلى هذا فالرواية ليست متصلة، بل فيها انقطاع، وفيها تدليس أيضا، حيث لم يذكر سعد ذلك الراوي الذي بينه وبين أم المؤمنين.

وهناك نكتة أخرى في الموضوع، وهي أننا إذا تأملنا مضمون الرواية، فهذا المضمون لا يخص النساء دون الرجال، حتى يخص به النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة ولا يذكره للرجال، بل هو كلام يخص الرجال أكثر مما يخص النساء، فكان المفروض أن يقال في مجالس الرجال، أو في مجلس يضمّ الصنفين، ولكن لم ترد تلك الرواية عن أحد من الصحابة!

الناحية الأخرى:

والناحية الأخرى أن هذه الرواية في جميع طرقها جاءت عن قتادة، وقتادة ليست له سمعة طيبة لدى أئمة الرجال وصيارفة الحديث، فقد روي عن الشعبي أنه قال: قتادة حاطب ليل.

وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يغث عليهما شيء، يأخذان عن كل أحد!

قال أبوداؤد: حدث قتادة عن ثلاثين رجلا لم يسمع منهم.

قال حنظلة بن أبي سفيان: كان طاوس يفر من قتادة، وكان قتادة يرمى بالقدر.

وقال علي بن المديني: قلت ليحيى بن سعيد إن عبد الرحمن يقول: اترك كل من كان رأسا في بدعة، يدعو إليها! قال: كيف تصنع بقتادة؟[42]

موجز القول أنه ليس هناك شيء يشفع لتأويل السفرة الكرام البررة إلى جماعة الملائكة، بل سياق الآيات وجوّ السورة كله يدفعنا دفعا إلى القول بأن المراد بالسفرة الكرام البررة هم أصحاب رسول الله، والصحف المكرمة المرفوعة هي صحف من القرآن، كان يحتضنها أصحاب رسول الله، وكانوا يقومون بها آناء الليل وآناء النهار.

طريقة كتابة الوحي:

وعلى أية حال فالصحف هي صحف القرآن، والقرآن لم يكتب في يوم من الأيام على العسب، واللخاف، وأكتاف الإبل، وأضلاع الشاء، وما إليها، فإن العرب لم يستخدموا تلك الأشياء للكتابة قط، وإنما كانوا يكتبون كلما ارادوا أن يكتبوا على الرقّ والأديم والقرطاس، والقرآن أيضا كتب من أول يوم على الرقّ والأديم والقرطاس.

وإذا كان القرآن مكتوبا على الرق والأديم والقرطاس، وكان في صحف مكرّمة، لزم أن يكتب كل وحي على ترتيبه في اللوح المحفوظ حتى يتيسر للناس حفظ الآيات على ترتيبها.

---

[42] انظر: تهذيب التهذيب: 317/8

ويوحي الموقف أن كل وحي كان يكتب على رقّ جديد مستقل، على طريقة البطاقات الحديثة عند الباحثين في العصر الحديث. حتى يمكن تقديمه وتأخيره بكل سهولة، وحتى يوضع الوحي الجديد في موضعه بين المجموعات من الآيات التي سبق نزولها من غير أي صعوبة، وحتى يتمّ ترتيب الآيات وفق اللوح المحفوظ في لحظات.

وكل وحي كان يوضع في مكانه ابتداءً، وكل سورة وكل آية كانت تكتب في مكانها المعلوم بتعليم جبريل عليه السلام، حيث روى الإمام أحمد، قال:

حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أسود بن عامر ثنا هريم عن ليث عن شهر بن حوشب عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض قال ثم شخص ببصره فقال أتاني جبريل عليه السلام فأمرني ان أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[43]

وعلى هذا، لما قُضي الوحي، وضرب التنزيل بجرانه، كان القرآن كله مجموعا ومرتبا بآياته وسوره، بطبيعة الحال، وقبل اكتمال الوحي أيضا،لم يكن غير مرتب في يوم من الأيام، بل القدر الموجود من القرآن كان دائما مرتبا بتعليم وتوجيه من سيدنا جبريل عليه السلام.

******

[43] مسند أحمد: 18081/218/4

لعل هذا الحديث المستفيض حول ما يتعلق بجمع القرآن وتدوينه يكفي للاقتناع بأنه لم يكن هناك أيّ نوع من العوائق، يعوق النبي عليه السلام من تدوين القرآن الكريم في حياته، بل كانت الأسباب كلها متاحة، والدواعي متوافرة لتدوينه بين الدفتين.

ولكن لا بأس بأن تكون لنا وقفة عند أسباب زعموا أنها حالت دون تدوين القرآن في عهد رسول الله.

لا بأس بأن تكون لنا وقفة عند تلك الأسباب، حتى يكون الأمر أوضح وأجلى، ولا يبقى في الموضوع أيّ غموض، وأيّ غبش.

ظاهرة نسخ الآيات:

ذكر فريق من العلماء عدة عوائق دون تدوين القرآن في حياة رسول الله، وعلى رأسها نسخ الآيات، فقد أكثروا من ذكر النسخ في القرآن، واعتبروه أكبر عائق من عوائق تدوين القرآن في حياة رسول الله، وقالوا كانت الآيات تنزل وتُنسخ، وهذا النسخ استمرّ إلى آخر حياته عليه الصلاة والسلام، فما كان في مقدوره أن يدون القرآن قبل أن يبلغ نهايته، وحينما بلغ القرآن نهايته، كان ذلك نهاية لأجله عليه الصلاة والسلام، فلم يتمكن من تدوينه في حياته، وقام به خليفته من بعده.

قال الزركشي:

"وإنما لم يُكتب في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – مصحف لئلا يُفضي إلى تغييره في كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته، صلى الله عليه وسلم، فكتب أبو بكر والصحابة بعده، ثم نسخ عثمان المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار"[44]

---

[44] البرهان في علوم القرآن– النوع الرابع عشر: 262/1

وقال الخطابي:

"إنما لم يجمع -صلى الله عليه وسلم- القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك." [45]

وقال الزرقاني:

"وإنما لم يجمع القرآن في صحف ولا مصاحف لاعتبارات كثيرة، منها:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات.

وأنت خبير بأن القرآن لو جمع في صحف أو مصاحف، والحال على ما شرحنا، لكان عرضة لتغيير الصحف أو المصاحف كلما وقع نسخ أو حدث سبب. مع أن الظروف لا تساعد، وأدوات الكتابة ليست ميسورة، والتعويل كان على الحفظ قبل كل شيء. [46]

ما نزل القرآن لينسخ نفسه!

نقول بكل أدب، وكل احترام: كل من قال مثل هذا الكلام قد فاتته أشياء، وهو لم يفكر فيها، فقد جاء القرآن ناسخا، وماجاء منسوخا، جاء لينسخ غيره مما يخالفه، وما جاء لينسخ نفسه. وليس من سنة الله ولا من شأن كتاب الله أن يكون ناسخا ومنسوخا في وقت واحد.

فإذا لم تكن التوراة ناسخة لنفسها، وإذالم يكن الإنجيل ناسخا لنفسه، فكيف يكون القرآن ناسخا لنفسه؟ أو كيف ينسخ بعضه بعضا؟

---

[45] الإتقان في علوم القرآن- القول في جمع القرآن:76/1

[46] الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- لماذالم يجمع القرآن أيامئذ :1/ 249-248

والأمر هنا ليس أمر البداء والخفاء، حيث أطالوا فيه الكلام من غير داعٍ، فتعبوا وأتعبوا، وإنما الأمر أنه خلاف سنة الله في تنزيل الكتب، فكلما جاء كتاب نسخ ما قبله، إن كان بحاجة إلى نسخ وتبديل، أما أن ينزل كتاب وينسخ بعضه بعضا، فهذا خلاف سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ولم يثبت عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال بنسخ آية من القرآن، ولم يثبت شيء منه عن فقهاء الصحابة، فكل ما نزل على النبي عليه الصلاة والسلام من قرآن كريم محفوظ بتمامه، ومحفوظ كما نزل، من غير نسخ ولا تبديل.

لم ينسخ القرآن إلا ما كان قبله مما يخالفه:

وأما ما ورد في القرآن في شأن النسخ والتبديل، حيث قال تعالى:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.﴾[47]

وقال تعالى:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾[48]

فهو ناظر إلى الشرائع السابقة، أو الكتب السابقة من التوراة والإنجيل، كما هو ناظر إلى ما كان عليه اليهود والنصارى والمشركون من بدع وخرافات، وأعراف وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان.

وليس للنسخ في القرآن أساس غير عجز بعض العلماء عن التوفيق بين آيتين مختلفتين في الظاهر، فحينما عجزوا عن التوفيق بين الآيات، قالوا هذا ناسخ وذاك منسوخ!

---

[47] سورة النحل :101

[48] سورة البقرة:106

وهذا هو السر في أننا نرى اختلافا شديدا بينهم في أعداد الناسخ والمنسوخ، فهناك آيات كثيرة هي منسوخة عند جماعة، ومحكمة عند الآخرين!

وليس من المعقول أبدا أن نخلط النسخ بغيره، ونسمي التخفيف والتيسير، أونسمي التخصيص والتقييد، أونسمّي التدرج في التشريع والتنفيذ نسخا، فالنسخ نسخ، وهو إزالة حكم أو تشريع، ومحو آثاره نهائيا، وأما هذه الأمور التي أدخلوها في النسخ، فليست من النسخ في شيء.

قالوا: إن السلف كانوا يطلقون لفظ النسخ على هذه الأمور كلها، ولكن هذا ظن واستخراج من روايات لاتخلو من ضعف، فالأمر يحتاج إلى تثبّت، ويحتاج إلى بحث، فلم يرد منهم شيء واضح منصوص يثبت هذا الظنّ.

ولا يسمح لنا المقام بأن نسترسل في الكلام عن النسخ أكثر مما فعلنا، فموضوع الناسخ والمنسوخ طويل واسع الذيل، ولا يمكن استيعابه وتغطيته إلا في بحث مستقل، ومن أراد ذلك فليرجع إلى كتابنا: (التحرير والتحبير في أصول التفسير) فسيجد هناك ما يقنعه ويشفيه بإذن الله.

وعلى أية حال، فلم يكن هناك أيّ نسخ في القرآن، وإنما هو وهم وقع فيه من وقع. وما كان لذلك السبب الموهوم أن يكون عائقا من تدوينه في حياة رسول الله.

أسباب أخرى لعدم التدوين:

وهناك أسباب أخرى ذكروها تعليلا لعدم تدوين القرآن في حياة رسول الله، فقالوا- مثلا-:

"إنه لم يوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر حتى كتبه في صحف. ولا مثل ما وجد على عهد عثمان حتى نسخه في مصاحف. فالمسلمون وقتئذ بخير، والقراء كثيرون، والإسلام لم يستبحر عمرانه بعد، والفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة، وعناية الرسول باستظهار القرآن تفوق الوصف، وتوفي على الغاية حتى في طريقة أدائه على حروفه السبعة التي نزل عليها.

وقالوا: إن القرآن لم ينزل مرة واحدة، بل نزل منجما في مدى عشرين سنة أو أكثر.

وقالوا: إن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فقدكان نزوله على حسب الأسباب، أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات.[49]

وقفة مع تلك الأسباب:

تلك أسباب ذكروها دعماً للفكرة القائلة بأن القرآن لم يدون في حياة رسول الله، ولا نظن تلك الأسباب تنهض لإثبات تلك الدعوى الكبيرة، فهل من المعقول أن يقال: لم توجد دواعي كتابة القرآن في صحف أو مصاحف في حياة رسول الله، مثل ما وجدت في عهد أبي بكر، ثم في عهد عثمان؟

وما دواعي كتابة القرآن؟

إذا كان المسلمون بخير، وكان القراء كثيرين، فهل يكونون في غنى عن الصحف والمصاحف؟ وهل تكثر القراء بدون الصحف والمصاحف؟ فالصحف والمصاحف هي الوسائل إلى الحفظ والقراءة، ومن أراد الحفظ والقراءة لابد له من مصحف يقوم معه ويقعد، ويصبح معه ويمسي.

---

[49] مناهل العرفان في علوم القرآن– لماذا لم يجمع القرآن أيامئذ :248/1

والحافظ والقارئ مهما بلغ من قوة الذاكرة، ومهما كان من توقّد الذهن وشدة الذكاء، فلن يستغني عن صحف، أو مصحف يرجع إليه في الفينة بعد الفينة، حتى لا يتفلت منه قرآنه، فهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها.

متى كان التعويل على الحفظ؟

ومتى كان التعويل على الحفظ أكثر من الكتابة؟ فالشيء يحفظ، وللحفظ فوائد، ولكن لا يكون عليه التعويل، بل التعويل دائما على الكتابة، ومن كان يشك في هذا الأمر، فليذكر قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ.﴾[50]

---

[50] سورة البقرة:283-282

كم جاء التأكيد للكتابة في هاتين الآيتين! فلو كان الحفظ شيئا يعوّل عليه، لما جاءت هذه التأكيدات الشديدة المتكررة لكتابة ما تمّ بين الرجلين أو بين الفريقين من تداين، حيث لابد من كتابة آجاله وشهوده وتفاصيله اللازمة.

وإذا كان التداين لا يجوز فيه التعويل على الحفظ، فالقرآن أولى وأحرى ألف مرة بأن لا يجوز فيه التعويل على الحفظ.

كان يسجّل الوحي لساعته:

والنبي عليه الصلاة والسلام لم يعول على الحفظ أبدا، بل كلما جاءه وحي أملاه على من يكتبه.

فقد روى البغوي عن عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان، وتنزل عليه السور، وكان إذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتبه، فقال: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا.[51]

وفي رواية الترمذي: قال عثمان كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مما يأتى عليه الزمان، وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشىء، دعا بعض من كان يكتب فيقول:

ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا. وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا.[52]

والجدير بالذكر أن كتابة الوحي لم تكن من اختصاص ناس دون ناس، بل المسلمون جميعا كانوا ينتظرون نزول الوحي، وإذا سمعوا بنزوله كانوا يسعون

---

[51] الإمام البغوي– شرح السنة: 518/4

[52] سنن الترمذي: باب من سورة التوبة، رقم الحديث: 3086

إليه، ويلتفون حول رسول الله مثل الفراش حول النار، حتى يتلقوا الوحي منه عليه السلام تلقيا مباشرا، وما كان يتأخر عنه إلا من حبسه عذر قاهر.

كلهم كانوا يكتبون الوحي:

وكلهم كانوا يحرصون على كتابة الوحى، فكانوا يكتبونه حتى يحفظوه، وينشروه ويبلّغوه من لم يشهد نزول الوحي من إخوانهم المؤمنين، وما كانوا يحصرونه في إخوانهم المؤمنين، بل كانوا يبلغونه إلى من حولهم من الكفار والمشركين. وهكذا كان يطير الوحي وينتشر في ليلة وضحاها، ويصل إلى كل أذن، مثل الحريق في يبيس العرفج، وكان يُسمع له دويّ من كل أوب وصوب!

وإذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم بعض الكتّاب المتقنين الماهرين لكتابة الوحي، كما ورد في بعض الروايات، فهذا من شدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام بحفظه وضبطه، حيث كان يحرص ألا يغيب عن كتابته الماهرون المتقنون، حتى تكون هناك صحف مضبوطة وبريئة من أيّ خطإ أوسقط، وهي تعتبر الصحف الإمام، التي يرجع إليها الناس إذا التبس عليهم شيء، وحتى إن أخطأ مخطئ في كتابته، أو اعتراه شك في كلمة أو آية، عرض كتابته على ما كتبه هؤلاء المتقنون الماهرون، فإن فاته شيء أكمله، وإن وقع منه خطأ أصلحه.

إن كان سقط في الكتابة أقامه:

و مما يدل على حرصه الشديد على حفظ الوحي وضبطه أنه عليه السلام كان يملي على من يحذق الكتابة ويتقنها، وبعد الانتهاء من الإملاء كان يأمره أن يقرأ عليه ما كتب، أو ينظر فيه بدقة، فإن كان فيه سقط أقامه.

فقد روى زيد بن ثابت، قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يشتد نفسه ويعرق عرقا شديدا مثل الجمان، ثم يسرى عنه، فأكتب وهو يملي عليّ، فإذا فرغت، قال: اقرأ، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه.[53]

وإذا كان هذا شأن النبي صلى الله عليه وسلم مع زيد بن ثابت، فلنعلم أنه ليس خاصا بزيد بن ثابت، بل هو شأنه عليه السلام مع زيد، ومع غيره ممن كان يملي عليهم الوحي من الكتّاب الماهرين.

تعجّ المدينة بالكتّاب والقرّاء!

فالكتّاب المتقنون كانوا يكتبون، وغير هم أيضا كانوا يكتبون، والمسلمون كلهم كانوا يكتبون، ويساعد بعضهم بعضا، ويعلّم بعضهم بعضا، حتى تفشت القراءة، وتفشت الكتابة بين أصحاب رسول الله، تفشت بين شيبهم، وشبابهم ونسائهم بصورة سريعة مدهشة، ولم يمض على الوحي زمان حتى أصبحت المدينة كلها تعجّ بالكتّاب والقرّاء، ولم تبق قرية ولا ضاحية إلا وهي عامرة بهم!

وكلما نزل وحي كان يتلى على رؤوس الأشهاد، وكان يتلى على جماهير المؤمنين رجالا ونساء، حيث روى ابن إسحاق:

قال: نا يونس عن عمر بن ذر عن مجاهد قال: كان إذا نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأه على الرجال ثم على النساء.[54]

والنبي صلى الله عليه وسلم حينما كان يقرأ الوحي على الرجال، ثم على النساء ما كان يقصد مجرد القراءة، أو مجرد الإبلاغ والإعلام، وإنما كان يملي عليهم حتى يكتبوه، فكانت له عليه السلام مجالس مع الرجال، وكانت له

---

53 المعجم الكبير للطبراني : 4888/142/5

54 السيرة النبوية لابن إسحاق: 128/1

مجالس مع النساء، وكان الرجال يكتبون في مجالسهم، والنساء يكتبن في مجالسهنّ.

جلسات متّصلة مع المؤمنين:

وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم اهتمام شديد بتعليم القرآن، وكتابة القرآن، وكانت له جلسات متّصلة مع عامة المؤمنين، يجلس معهم، ويملي عليهم القرآن، ويعلمهم.

فقد روى عبد الله بن عمرو، وهو يذكر إحدى جلساته عليه السلام مع أصحابه، قال:

بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه و سلم نكتب، إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ المدينتين تفتح أولا؟ قسطنطينية أو رومية؟ فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لا بل مدينة هرقل أولا.[55]

فالمسلمون كانوا يجلسون حول رسول الله ويكتبون، وما يكتبون عنه غير القرآن، فإنه عليه السلام كان يركّز تركيزا على القرآن، وكان يحثّ الناس على كتابة القرآن، وكان ينهاهم عن كتابة غيره، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه:

عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال «لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب على – قال همام أحسبه قال – متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».[56]

---

[55] سنن الدارمي- باب من رخص في كتابة العلم: 126/1- ومسند أحمد- مسند عبد الله بن عمرو: 6645/176/2

وما كان في مقدور رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس مع الجميع، ويملي على الجميع، فالماهرون المتقنون من أصحابه كانوا يساعدونه، ويجلسون مع الآخرين الذين لم يتهيأ لهم الجلوس والتلقي من رسول الله، فهم كانوا يملون عليهم القرآن.

ما كانوا يملون الآيات إلا من صحفهم:

وما كانوا يملون عليهم القرآن إلا من صحفهم، فإن الأمر أمر كتاب الله، والمسؤولية فيه كبيرة، ولا يستحبّ فيه التعويل على الحفظ، فالذاكرة كثيرا ما تخون، والمرء لا يشعر به.

ومما يدل على هذا الالتزام ما رواه أصحاب المسانيد والسنن، فقد روى ابن خزيمة:

ثنا أبو موسى محمد بن المثنى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش وثنا سلم بن جنادة نا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر وهو يعرفه فقال: يا أمير المؤمنين جئت من الكوفة، وتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلبه، قال: فغضب عمر وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل! فقال: من هو ويحك؟ قال: عبد الله بن مسعود قال: فما زال يسري عنه الغضب ويطفأ حتى عاد إلى حاله التي كان عليها. ثم قال:

ويحك ما أعلم بقي أحد أحق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الأمر من أمر المسلمين وإنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله صلى الله

---

[56] صحيح مسلم- باب التثبت في الحديث:7702/229/8

عليه و سلم يمشي وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم يسمع قراءته، فلما كدنا أن نعرف الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد.

قال: ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: سل تعطه مرتين قال فقال عمر: فقلت: والله لأغدون إليه فلأبشرنه. قال : فغدوت إليه لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره. ولا والله ما سابقته إلى خير قط إلا سبقني!

قال الأعظمي: إسناده صحيح.[57]

فسيدنا عمر رضي الله عنه لم يغضب، حينما سمع أن رجلا بالكوفة يملي المصاحف عن ظهر قلبه، إلا لأن الأمر كان فيه خطر السهو والنسيان، وكان خلاف ما كان عليه الأمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عهد خليفته الأول رضي الله عنه، ولكن حينما علم أن ذلك المملي هو سيدنا عبد الله بن مسعود هدأ وسكن، وذلك لأن سيدنا عبد الله بن مسعود يجري في عروقه القرآن، وبطول صحبته للقرآن أصبح وكأنه قرآن، فلا يخاف منه ما يخاف من غيره، رضي الله عنه.

أدوات الكتابة في شعر العرب:

فالمسلمون كانوا يكتبون كلما ينزل إليهم من قرآن، وأدوات الكتابة كانت متوافرة، وكانت ميسّرة للجميع من غير شحّ، خلافا لما أشيع وأذيع في الناس! فالرقّ والأديم كان عندهم بوفرة، وقد ذكرنا له شواهد فيما مضى.

[57] صحيح ابن خزيمة- باب الجهر بالقراءة في صلاة الليل:1156/186/2

والأقلام، والدوى كانت متاحة، والنِقس أو المدادلم يكن نادرا، وكان في متناول من أراد استعماله، وهذه الأدوات كانت معروفة لدى العرب، لدى خاصتهم وعامتهم.

ومما يدل على كونها معروفة لدى الخاصة والعامة أن شعراءهم يكثرون من ذكر هذه الأدوات وغيرها في أشعارهم، هم يذكرونها وكأنها أشياء معهودة لدى الجميع، ويتفنّنون بها في تشبيهاتهم، والناس كانوا يهتزّون لتلك التشبيهات، وكانوا يؤخذون بها. فمنه قول امرئ القيس:

لمَن طللٌ أبصرتُه فشجاني ... كخطّ زَبورٍ في عسيبِ يمان [58]

وقال حاتم الطائي:

أتعرِفُ أطلالاً ونؤياً مهدّما ... كخطّك في رقٍّ كتاباً مُنَمنَما [59]

وقال أبوذؤيب الهذلي:

عَرَفْتُ الدِّيارَ كَرَقْمِ الدَّوا ... ةِ يَزْبُرُها الكاتِبُ الحِمْيَرِيُّ [60]

ومنه قول لبيدبن ربيعة العامري:

عفتِ الديارُ محلُّها فمُقامُهَا ... بمنًى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجَامُهَا

فمدافعُ الرَّيَّانِ عرِّيَ رسْمُها ... خلقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُها

وجَلا السُّيولُ عن الطّلُولِ كأنّها ... زبرٌ تجِدُّ متونَها أقْلامُها [61]

قال الزوزني:

---

[58] ديوان امرئ القيس: 165/1

[59] ديوان حاتم الطائي : 79/1

[60] الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري :1/ 99، المكتبة الشاملة

[61] شرح المعلقات السبع للزوزني- معلقة لبيد- ص: 135

الوحي: الكتابة، والفعل وحى يحي، والوحي الكتاب، والجمع الوُحي. السلام: الحجارة والواحدة سَلِمة، بكسر اللام؛ فمدافع: معطوف على قوله غولها.

يقول: توحشت الديار الغولية والرجامية، وتوحشت مدافع جبل الريان لارتحال الأحباب منها، واحتمال الجيران عنها، ثم قال: وقد توحشت وغيرت رسوم هذه الديار فعريت خَلَقًا، وإنما عراها السيول، ولم تنمحِ بطول الزمان، فكأنه كتاب ضمن حجرًا، شبه بقاء الآثار لقدم الأيام ببقاء الكتاب في الحجر.[62]

سجدة الشعر!

روي أن الفرزدق مر بمسجد "بني أقيصر" بالكوفة، وعليه رجل ينشد:

وجلا السيول عن الطلول ... كأنها زبر تجد متونها أقلامها

فسجد. فقيل له: "ما هذا يا أبا فراس؟"

فقال: "أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرف سجدة الشعر".[63]

وقال عدي بن الرقاع:

تزجي أغنَّ كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها [64]

قال الزبيدي: وقال ابن الرِّقاع:

عَرَفَ الدّيَارَ تَوهُّماً فاعتَادهَا ... من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلَى أَبْلادَهَا

اعتادَهَا: أَعَادَ النَّظَرَ إِليها مَرَّةً بعد أُخرَى لدُرُوسها حتَّى عَرَفَهَا.

وممّا يُستَحْسَن من هذه القصيدَة قولُه في صِفَة أَعلَى قَرْنِ وَلَدِ الظَّبْيَة:

---

[62] نفس المصدر– ص: 132

[63] أبوالفرج الأصفهاني– الأغاني– نسب لبيد وأخباره: 371/15

[64] الزمخشري– أساس البلاغة: أ ب ر

تُزْجِي أَغنَّ كأَنَّ إِبرَةَ رَوْقِه ... قَلَمٌ أَصَابَ من الدَّوَاةِ مِدَادَها [65]

وقال المَرّارُ بن سعيد الفقعسي:

عَفَتِ المَنَازِلُ غَيْرَ مِثْلِ الأَنْقُسِ ... بَعْدَ الزمَانِ عَرَفْتَه بالقَرْطَسِ

والنِّقْسُ، بالكَسْرِ: المِدَادُ الَّذِي يُكْتَب به، ج أَنْقَاس وأَنْقَس.وبالقرطس: أَي في القِرْطاسِ.[66]

وقال ابن دريد: النِّقْس الذي تُسَمِّيه العامّة المِدَادَ: عربيٌّ معروفٌ، وأنشد:

مجُاجَةُ نِقْسٍ في أدِيمٍ ممُجْمَجِ [67]

وقال المرقش:

الدار قفر والرسوم كما ... رقّش في ظهر الأديم قلم [68]

وقال طرفة بن العبد:

أشجَاكَ الرَّبعُ أم قدَمُهْ ... أمْ رَمَادٌ ، دارِسٌ حمُمُهْ

كسُطُورِ الرّقّ ، رَقّشَهُ ... بالضّحَى ، مُرَقِّشٌ يَشِمُهْ [69]

وجوه الروعة والبلاغة في البيتين:

قال الفراهي، وهو يبين وجوه الروعة والبلاغة في هذين البيتين:

"من أمثلة شدة انتباههم لجودة الألفاظ المفردة أو رداءتها أنهم كانوا يسمون بها، كما يسمون بفعالهم، فهم سموا المرقش لأنه أول من استعمل لفظ الرقش لبقايا الرسوم، حيث قال:

---

65 تاج العروس من جواهر القاموس: بغند

66 تاج العروس: ن ق س

67 الصاغاني–العباب الزاخر واللباب الفاخر– نقس

68 أساس البلاغة: ر ق ط

69 ديوان طرفة بن العبد– 84/1

الدار قفر والرسوم كما ... رقّش في ظهر الأديم قلم

وكان الرقش يستعمل لألوان مختلطة متباينة واضحة، كما تكون على جلد الحية، فهذه اللفظة صوّرت بقايا الرسوم بصورة واضحة، ولم يضع حسن اختياره في قوم فطن، ثم تبعه الشعراء، فقال طرفة:

كسُطُورِ الرّقّ ، رَقّشَهُ ... بالضّحَى ، مُرَقِّشٌ يَشِمُهْ

فزاد طرفة لفظة "الضحى" لتدل على جودة صنعه، فإنه إن فعله في الليل، أو حين قلة الضوء في النهار، لعله لم يبين الألوان.

فلو لم يفطن طرفة أن حسن لفظ الرقش في الوضوح، لم يزد عليه لفظة "الضحى".

ثم زاد عليه لفظة "مرقش"، وأراد طرفة أن يسبق المتبوع؛ فإن القلم ربما يستعمله من لايحسن الصنع، ولكن إذا أخذه صاحبه أجاد الرقش.

ثم زاد عليه لفظة "يشمه" ليبين عادته بالوشم، وفي نفس الوقت أكمل التصوير حينما جاء به في صورة الفعل، كأنك ترى مرقشا يشم الرقّ في الضحى." [70]

وقال أبوعلي القالي: والمجلة صحيفة كان يُكتب فيها شيء من الحكم، وأنشد بيت النابغة الذبياني:

مجلتهم ذات الإله ودينهم ... قويم فما يرجون غير العواقب [71]

دليل من القرآن على كتابة العرب!

ولانريد أن نطيل، فتلك نماذج تكفي للقول بأن العرب ما كانوا بعيدين من دنيا الثقافة والعلم، كما قيل، بل كانت الكتابة، وأدوات الكتابة، والصحيفة

---

[70] عبدالحميد الفراهي- جمهرة البلاغة-فصل: تنقيح الألفاظ:56

[71] أبوعلي القالي-الأمالي في لغة العرب: 245/1

والمجلّة وما إليها مذكورة فيهم، ومألوفة لديهم، وكانوا يكتبون ويقرءون، كما كان غيرهم يكتبون ويقرءون.

والقرآن صريح في أن الكتابة كانت شائعة فيهم، حيث قال فيهم:

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ.﴾ [72]

والسطر هو الخطّ والكتابة، وما نسب هذا السطر إلى شخص أو أشخاص، وإنما نُسب إلى القوم كلهم، وفيه دليل واضح على أن الكتابة لم تكن نادرة فيهم، وما كانت من اختصاص شخص أو أشخاص، وإنما هي من مألوفات القوم، وعاداتهم.

ومثله قوله تعالى في نفس السورة:

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ. أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُون.﴾ (47-46)

فمثل تلك الآيات تدل على شيوع الكتابة فيهم، وتدل على أنه لم يكن هناك أيّ شحّ في أدواتها.

القرائن تدل على أكثر من ذلك!

بل القرائن تدل على أكثر من ذلك، فهم كانوا يفوقون أمم العالم في القراءة والكتابة، وكانوا يفخرون عليهم بقدرتهم على النطق وحسن البيان، وكانوا يزدرونهم، ويسمونهم "الأعاجم"، لنقصهم في النطق وجودة البيان.

والمهارة في النطق والبيان لا توجد إلا في قوم يتميزون بالذكاء والفطنة، ويمهرون في القراءة والكتابة.

---

[72] سورة القلم :2-1

قال الفراهي:

"من لا يجد في نفسه قدرة على الارتجال يظنه أمرا بعيدا، ولا يؤمن به، لاسيما إذا رأى كلاما ملئ حكمة، ودقة، وتنوعا، وإصابة...

وليس الارتجال في الأقوال بأعجب من الارتجال في الفعال، ألا ترى العرب كيف بلغوا الغاية في التمدن في قليل من الزمان؟

فقوم تراهم يمشون، وكأنهم واقفون!

وقوم يمرون ويمضون، وكأنهم برق خاطف!

فإذا سمعت أن العرب كانوا يلقون من غير رويّة خطبا بليغة طوالا، أو ينشدون القصائد الغرّ ارتجالا، أفلا تظنهم أجدر بهذا من أقوام يدبون دبيب النمل، وقد علمت من نطقهم في مواسمهم وحروبهم، من الخطب والقصائد والرجز، حتى كأنهم لم يملكوا أن يردوا شِقْشِقة لسانهم وجيش صدورهم، فتراهم أولى باسم (الحيّ الناطق) من غيرهم.[73]

الكامل عندهم من يكتب بالعربية:

فالكتابة كانت شائعة في العرب، والكاتبون لم يكونوا قلة، فإن الكتابة كانت لها أهمية كبيرة في المجتمع العربي، وكانت تعتبر عندهم من مقومات الكمال، قال ابن سعد:

"وكان الكامل في الجاهلية الذي يكتب، ويحسن العوم، والرمي."[74]

فالناس كانوا يتسابقون في كسب هذا الكمال، والذين لايعرفون الكتابة كانوا يتعلمونها ممن يعرفونها، هكذا كان شأنهم قبل الإسلام، فلما جاء

---

[73] الفراهي- جمهرة البلاغة- فصل في ارتجال العرب:84/1

[74] ابن سعد- الطبقات الكبرى: 467/3

الإسلام، ونزل القرآن، اجتمعت دوافع متعددة لحذق الكتابة، فما بقي الأمر أمر كسب الكمال، بل أصبح من واجب كل مسلم أن يعيش بالقرآن، ويعيش مع القرآن، وكيف يقدر على ذلك إن كان لا يملك صحفا من القرآن؟

وليس من واجب المسلم أن يعيش بالقرآن فحسب، بل من واجبه أن يربي أهله وأولاده على حب القرآن، وأن ينشر في الآفاق نور القرآن، ويملأ الدنيا كلها بنسخ القرآن.

وأصحاب رسول الله أدركوا هذه المسؤولية الكبيرة إدراكا تاما، فالذي عرف القراءة والكتابة، نمّاها وطوّرها وأتقنها، والذي لم يعرفها عرفها وتعلمها، وهكذا استطاعوا أن يملؤوا الدنيا كلها بنسخ القرآن، واستطاعوا أن ينوّروا الآفاق كلها بنور القرآن.

تعلّم الكتابة بالعربية في أسبوع:

وتعلّمُ الكتابة بالعربية لا يأخذ من الرجل العربي أكثر من أسبوع، إذا كان جادّا، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم كانوا جادّين، وما كانوا يعرفون إلا الجدّ.

ومما يشجعنا على هذا القول ما رواه البخاري تعليقا، والبغوي وأبو يعلى موصولا، عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه قال أتى بي النبي صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة، فقيل هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه فأعجبه ذلك، فقال تعلم كتاب يهود فإني ما آمنهم على كتابي، ففعلت، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له.

وفي مسند عبد بن حميد من طريق ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: إني أكتب إلى قوم، فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا، فتعلم السريانية، فتعلمتها في سبعة عشر يوما.[75]

فإن استطاع سيدنا زيد بن ثابت أن يحذق السريانية قراءةً وفهماً وكتابةً في نصف شهر، أو في سبعة عشر يوما، مع أنها لغة جديدة تماما، لغة لا تعرفه ولا يعرفها ، وما سبق له أن يذوق طعمها، أو يشمّ ريحها، إن استطاع زيد أن يحذق تلك اللغة الأجنبية – وقد استطاعها من غير شك – استطاع أيّ رجل عربي أن يحذق الكتابة بالعربية– وهي له لغة الأم– في أسبوع أو أقلّ من أسبوع.

منشأ الوهم بعدم معرفة الكتابة:

ولعل الذي أوقع الناس في هذا الوهم، الوهم القائل بأن الكاتبين في أصحاب رسول الله كانوا قلة، هو لفظ (الأميين) في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.﴾[76]

ما قيل في معنى الأميّ والأمّيين:

فما معنى الأميين في هذه الآية؟ قال ابن عطية:

{الأميين}: يراد بهم العرب، والأمي في اللغة الذي لا يكتب ولا يقرأ كتاباً، قيل هو منسوب إلى الأم، أي: هو على الخلقة الأولى في بطن أمه، وقيل

---

[75] ابن حجر– الإصابة في تمييز الصحابة– ذكرمن اسمه زيد:543/1– والتاريخ الكبير للبخاري : 3//1278/381

[76] سورة الجمعة:3–2

هو منسوب إلى الأمة، أي على سليقة البشر- دون تعلم، وقيل منسوب إلى أم القرى وهي مكة، وهذا ضعيف، لأن الوصف ب{الأميين} على هذا يقف على قريش، وإنما المراد جميع العرب، وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا» .[77]

وقال القرطبي:

قال ابن عباس: الأميون العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب. وقيل: الأميون الذين لا يكتبون. وكذلك كانت قريش. وروى منصور عن إبراهيم قال: الأمي الذي يقرأ ولا يكتب.[78]

هكذا درج المفسرون على تفسير (الأميين) في الآية بمن لا يقرءون ولا يكتبون. وهكذا فعل أهل اللغة،

قال الراغب الأصفهاني:

"والأُمِّيُّ: هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وعليه حمل: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) قال قطرب: الأُمِّيَّة: الغفلة والجهالة، فالأميّ منه، وذلك هو قلة المعرفة، ومنه قوله تعالى:

(وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلَّا أَمانِيَّ) أي: إلا أن يتلى عليهم.

قال الفرّاء: هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب، (والنَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ) قيل: منسوب إلى الأمّة الذين لم يكتبوا، لكونه على عادتهم كقولك: عامّي، لكونه على عادة العامّة، وقيل: سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب، وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه، واعتماده على ضمان الله منه بقوله: (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى).

---

[77] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- سورة الجمعة، 300/8

[78] الجامع لأحكام القرآن- سورة الجمعة، 256/9

وقيل: سمّي بذلك لنسبته إلى أمّ القرى."[79]

تلك نصوص من كلام أهل التفسير وأهل اللغة، نستخلص منها أن لفظ الأمي يحتمل معنيين:

1. الذي لايكتب ولا يقرأ من كتاب.

2. الذي ولد في أم القرى، وهي مكة، ونشأ فيها.

لماذا عدلوا عن معنى ثابت إلى غير ثابت؟

وهنا يثور سؤال: لماذا جنح أهل اللغة وأهل التفسير في تأويل الآية للمعنى الأول دون الآخر، مع أن المعنى الآخر ثابت متحقق، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه السابقين الأولين كلهم ولدوا في أم القرى، ونشؤوا في أم القرى، وسكنوا في أم القرى، فالنبي أميّ، وقومه وأصحابه أميون، وهو أمر لم يختلف فيه اثنان، ولم ينتطح فيه عنزان، وليس فيه أي إشكال من أيّ ناحية.

وأما المعنى الأول الذي مال إليه أهل التفسير وأهل اللغة، والذي وقر في الأذهان، وسارت به الركبان، فهو معنى لا يخلو من إشكال، فإن من سنة الله أنه لا يختار لرسالته إلا قوما متميزين، ولا يختار إلا من يفوقون أهل زمانهم في فضلهم وكفاءتهم، حيث قال تعالى في بني إسرائيل:

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ. مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ. وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ.﴾[80]

---

[79] الراغب الأصفهاني–المفردات في غريب القرآن– كتاب الألف: 87/1

[80] سورة الدخان: 30–33

فإذا اختار الله العرب، وهم بنو إسماعيل، واختارهم لرسالته العالميّة الخالدة، فلا بد أن تكون فيهم كفاءة، ولا بد أن تكون لهم ميزة. وأيّ كفاءة فيهم، وأيّ ميزة إذا كانوا غارقين في الأمية، ولم يعرفوا القراءة ولا الكتابة؟

دعاية كاذبة، والله!

وهل نعرف قوما كانوا يملكون ما كان يملكه العرب من قدرات وكفاءات، ومن مهارات وعبقريات، ومن همم وطموحات، ثم كانوا كلهم، أو معظمهم بعيدين من القراءة والكتابة؟ هل وُجد مثل هذا القوم على ظهر الأرض عبر التاريخ البشري كله؟

وإذا قيل هذا الكلام في شأن بني إسماعيل، وهم العرب، مع أنه لا يوجد له مثال في تاريخ الأقوام كله، فهل من المستبعد أن يكون ذلك دعاية كاذبة فاجرة من أعداء بني إسماعيل، حتى يغضّوا من شأنهم، ويشوّهوا كرامتهم؟ وكم لهم من دعايات كاذبة فاجرة ضد بني إسماعيل! وهي ليست خافية على من له إلمام بتاريخهم وتاريخ المسلمين.

وماذا في كون الرسول أميا لا يعرف الكتابة ولا يعرف القراءة في كتاب؟ وماذا في كون قومه أميين لا يكتبون ولا يقرءون؟ ما الميزة وما الشرف في هذا حتى يتكرر ذكره في القرآن بهذا الاهتمام؟!

هل كانت الأميّة حجّة على النبوة؟

قد يقال إن أميّة رسول الله كانت حجة على نبوته، حيث جاء مع أميّته بكتاب فيه علم الأولين والآخرين، وجاء بكتاب يعجز عن مثله الجن والإنس!

نقول: لو كانت الأميّة حجة على رسالة رسول، أو نبوة نبيّ، لكان كل رسول وكل نبي أمّيّا، فإن كل رسول، وكل نبي كان بحاجة إلى حجة على رسالته ونبوته، ولكن لم يكن الأمر كذلك.

والقرآن نفسه حجة ساطعة على كونه من عند الله؛ فإنه لو اجتمع علماء الإنس والجن كلهم على أن يأتوا بمثله لايأتون.

فإذا كان القرآن بهذا السموّ وبهذا العلوّ، فهل يوهن أمره أن الذي جاء به يعرف القراءة والكتابة؟

وإن كانت في أمّيّة رسول الله- بمعنى عدم معرفة القراءة والكتابة – حجة على رسالته، فما الذي حمل قومه على أن قالوا ما قالوا؟ ولقد قالوا:

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ.﴾ [81]

وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ.﴾ [82]

ثم إن كانت في أمية رسول الله حجة على رسالته، فماذا في أميّة قومه؟ وما الحكمة في أن يُبعث رسول الله في أمة أمية لا يقرءون ولا يكتبون؟

تلك إشكالات وتساؤلات يتلو بعضها بعضا، وتختلج في ذهن الباحث، ولكن بدون مجيب!

تحديد وتشخيص لمكان البعثة:

ولكن إذا قيل إن الأميّ هو الذي وُلد ونشأ في أم القرى، والأميون هم الذين ولدوا ونشؤوا في أم القرى، فهذا يكون تعريفا برسول الله وأصحابه،

---

[81] سورة ص:7

[82] سورة المدثر:25-24

ويكون تجلية لشأنه، بتحديد مولده السعيد، وتشخيص مكان بعثته المباركة الخالدة.

فالنبيّ أميّ، وقومه أميّون؛ لأنهم كلهم من أم القرى، ولم تذكر هذه الصفة في شأن أيّ نبي؛ لأنه لم يكن أي نبي غير نبينا عليه الصلاة والسلام من أم القرى.

وكان ذلك رحمة من الله على عباده وتسهيلا لهم، حيث بيّن لهم مكان خاتم الأنبياء، حتى يعرفوه ويصلوا إليه بسهولة، إذا أدركوا زمانه، وإن أعرض عنه معرض، وجحد به جاحد، بعد ما عرفه وعرف مكانه،لم يكن عنده عذر، ولم تكن له على الله حجة يوم القيامة.

وكانت مكة معروفة بهذا الإسم، والقرآن يركّز على هذا الإسم، حيث قال تعالى:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يحَافِظُونَ.﴾[83]

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.﴾[84]

وقد ذكرت صفة (الأميّ) في البشارات التي وردت في الكتب السابقة من التوراة والإنجيل وغيرهما، ولعل الحكمة في التركيز على تلك الصفة في تلك البشارات كلها هي تحديد مكان تلك النبوة العالميّة الخالدة، وقد ذكر القرآن تلك البشارة العظيمة بهذه الصفة، حيث قال تعالى:

---

[83] سورة الأنعام:92

[84] سورة الشورى:7

﴿الَّـذِينَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّبِـيَّ الْأُمِّـيَّ الَّـذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبًـا عِنْـدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّـذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّـذِي لَـهُ مُلْكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِالله وَكَلِمَاتِـهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.﴾[85]

المعنى الظاهر المتبادر للفظ (الأمّيّ):

ولفظ (الأمي) جاء في القرآن بالمعنيين اللذين ذكرهما أهل اللغة وأهل التفسير، ولكن المعنى الظاهر المتبادر هو المعنى الذي كانوا فيه من الزاهدين، وذكره بعضهم، وقال: إنه ضعيف!

فالقرآن كلما ذكر (الأميّ) أو(الأميين) نسبة إلى أم القرى،لم يأت لـه ببيان، لكونه واضحا في معناه، ولكن حينما جاء بهذا اللفظ في معنى قلة العلم أو عدم العلم جاء بعده بما يفسره، حيث قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ.﴾[86]

فجاء (لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ) بيانا لقوله تعالى: (ومنهم أميُّونَ).

ولم يستعمل القرآن هذا اللفظ في سياق الذمّ، وبمعنى عدم العلم إلا لبني إسرائيل، وكلما استعمله للنبي صلى الله عليه وسلم، أو استعمله لأصحابه استعمله لبيان واقعهم، وهو كونهم من أمّ القرى.

[85] سورة الأعراف:158-157

[86] سورة البقرة:78

إنا أمّة أمّيّة لا نكتب ولا نحسب!

وهناك روايات كان لها دور في صرف الناس عن التأويل الصحيح لتلك الآيات، فلا بأس بأن تكون لنا وقفة عند تلك الروايات حتى نكون على بينة من أمرها. فمنها ما رواه الشيخان، و أصحاب الجوامع والسنن، واللفظ للبخاري:

حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا الأسود بن قيس، حدثنا سعيد بن عمرو أنه سمع ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنا أمة أمّية لا نكتب، ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين.[87]

تلك الرواية في جميع طرقها جاءت عن الأسود بن قيس، وهو رجل تكلم فيه.

قال محمد بن أحمد بن البراء ، عن على ابن المدينى : روى عن عشرة مجهولين، لا يعرفون .[88]

وقال الذهبي: قال ابن المديني: الأسود يروي عن مجاهيل.[89]

وقيل إنه من الرواة الذين ضعفهم الإمام أحمد.[90]

كتب النبيّ بيده: "ابن عبدالله":

هذا، وإذا نظرنا إلى الرواية من ناحية مضمونها، فمضمونها يخالف واقع الأمر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب، فقد روى الإمام مسلم:

---

[87] صحيح البخاري- كتاب بدء الوحي :3 /1913/589

[88] تهذيب الكمال للمزي:498/262/1

[89] الذهبي - ميزان الاعتدال: 371/1

[90] د/عبدالعزيز بن صالح اللحيدان- شيوخ شعبة الذين ضعفهم الإمام أحمد:111/1

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى وأحمد بن جناب المصيصى جميعا عن عيسى بن يونس - واللفظ لإسحاق - أخبرنا عيسى بن يونس أخبرنا زكرياء عن أبى إسحاق عن البراء قال لما أحصر النبى - صلى الله عليه وسلم - عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثا ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف وقرابه. ولا يخرج بأحد معه من أهلها، ولا يمنع أحدا يمكث بها ممن كان معه.

قال لعلى «اكتب الشرط بيننا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فأمر عليا أن يمحاها فقال على: لا والله لا أمحاها. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «أرنى مكانها». فأراه مكانها فمحاها، وكتب «ابن عبد الله»[91]

قال الإمام النووي في شرح الحديث:

"قوله صلى الله عليه و سلم: (أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها وكتب بن عبد الله)

قال القاضي عياض رضي الله تعالى عنه:

احتج بهذا اللفظ بعض الناس على أن النبي صلى الله عليه و سلم كتب ذلك بيده على ظاهر هذا اللفظ.

وقد ذكر البخاري نحوه من رواية اسرائيل عن أبي إسحاق وقال فيه: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب. وزاد عنه في طريق آخر: "ولا يحسن أن يكتب فكتب."

[91] صحيح الإمام مسلم- باب صلح الحديبية:4731/174/5

قال أصحاب هذا المذهب: إن الله تعالى أجرى ذلك على يده، إما بأن كتب ذلك القلم بيده، وهو غير عالم بما يكتب. أو أن الله تعالى علمه ذلك حينئذ حتى كتب. وجعل هذا زيادة في معجزته فإنه كان أميا، فكما علمه مالم يعلم من العلم، وجعله يقرأ مالم يقرأ، ويتلو مالم يكن يتلو،كذلك علمه أن يكتب مالم يكن يكتب، وخط مالم يكن يخط بعد النبوة، أو أجرى ذلك على يده.

قالوا: وهذا لا يقدح في وصفه بالأمية، واحتجوا بآثار جاءت في هذا عن الشعبي وبعض السلف، وأن النبي صلى الله عليه و سلم لم يمت حتى كتب، قال القاضي: وإلي جواز هذا ذهب الباجي وحكاه عن السمناني وأبي ذر وغيره.

وذهب الأكثرون إلى منع هذا كله، قالوا وهذا الذي زعمه الذاهبون إلى القول الأول يبطله وصف الله تعالى إياه بالنبي الأمي صلى الله عليه و سلم."[92]

لا تعارض بين الأمرين:

أقول: وصف الله تعالى إياه عليه الصلاة والسلام بالنبي الأمي لا يبطل ذلك، والصواب في كفّ القائلين بأنه عليه السلام كتب وكان يكتب، وكان عليه السلام أميا نسبة إلى أم القرى، لكونه ولد في أم القرى، ونشأ في أم القرى، وكان يقرأ ويكتب، ولا تعارض بين الأمرين.

دليل آخر على قدرته على الكتابة:

و مما يدل على قدرته عليه السلام على الكتابة ما ذكره الله سبحانه من قول الكفار:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.﴾[93]

---

[92] شرح النووي على مسلم- باب صلح الحديبية: 137/12

قال الزمخشري: اكْتَتَبَها:كتبها لنفسه وأخذها، كما تقول: استكب الماء واصطبه: إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه.[94]

وقال الجوهري: اكْتَتَبْتُ الكتابَ، أي كَتَبْتُه. ومنه قوله تعالى: "اكْتَتَبها فهيَ تمْلى عَلَيه"[95]

ففي الآية إشارة واضحة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم الكتابة، وكان قادرا عليها غير عاجز عنها.

والكفار كانوا كاذبين من غير شك، حينما قالوا عن القرآن: (أساطير الأولين)، وكانوا كاذبين حينما قالوا: (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)، ولكن ليس هناك ما يدفعنا إلى القول بأنهم كانوا كاذبين حينما أثبتوا لرسول الله مهارة الكتابة.

تأويل: وَلَا تخُطُّهُ بِيَمِينِكَ:

وهناك آية أخرى وهموا منها أن النبي عليه السلام ما كان يعرف القراءة والكتابة، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَاتخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ المُبْطِلُونَ.﴾

وهذا الوهم نتيجة للذهول عن سياق الآية، فالآية ما جاءت لإثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يقرأ ولا يكتب أصلاً، وإنما جاءت ردا وإبطالا لمن كان يجحد بالقرآن، ويقول: إنه ليس وحيا من الله، وإنما هو افتراء واقتباس من الكتب الإلهية السابقة، فجاء الردّ أنك ما كنت تتلو قبل ذلك أيّ كتاب من

---

[93] سورة الفرقان:5

[94] تفسير الكشاف للزمخشري: سورة الفرقان، 257/3

[95] الجوهري – الصحاح في اللغة – كتع

الكتب الإلهية، وما كنت تخطه بيمينك، فكيف تقدر على الاقتباس منها؟ وما الحجة على هذه الدعوى؟ وسياق الآية هكذا:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ. وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ.﴾[96]

فتلك الآية لا متمسك فيها لمن يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف القراءة ولا الكتابة أصلا.

حديث بدء الوحي:

قد يقال: حديث بدء الوحي صريح في أن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان قارئا، ولم يقرأ حينما أمره سيدنا جبريل عليه السلام بالقراءة، فقد روى الإمام البخاري:

حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: "ما أنا بقارئ"، قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى

---

[96] العنكبوت :49-47

بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم﴾[97]

نقول: هذا الحديث لا يفيد شيئا مما يقال؛ فإن القراءة التي أمر بها سيدنا جبريل عليه السلام لم تكن قراءة عاديّة يقرؤها الناس، فإنه عليه الصلاة والسلام ما جاء بكتاب ولا صحيفة ولا لوح ولا ورقة، حتى يراه النبي عليه الصلاة والسلام، ويقرأ فيه، وإنما نزل بالوحي على قلبه الكريم، والقرآن كله نزل على قلبه الكريم، كما قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.﴾[98]

وكان الوحي مثل صلصلة الجرس، كما ورد في الروايات، وكانت هذه أول تجربة، فلم يعرف عليه الصلاة والسلام كيف يتلقى الوحي من قلبه الشريف، ولم يعرف كيف يتلقى الوحي من صوت مثل صلصلة الجرس!

فغطّه جبريل عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات، وكان ذلك منه تعليما وتدريبا لتلقي الوحي من قلبه الشريف، وبعد ذلك استطاع عليه الصلاة والسلام أن يتلقى الوحي من قلبه الشريف، وقرأ ما أنزله سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام على قلبه.

فهذه الرواية ليس فيها شيء مما يقال، من نفي مهارة القراءة والكتابة عن نبينا عليه الصلاة والسلام.

---

[97] صحيح البخاري-كيف كان بدءالوحي:1/ 3/4

[98] سورة الشعراء :195-192

كتابات واسعة متنوّعة:

وأما أصحابه عليه السلام فكتابتهم للوحي معروفة، وما كانوا يكتبون الوحي فقط، بل كانوا يكتبون كلما يلزمهم كتابته من المستجدّات التي تظهر على الساحة.

فكان منهم من يكتب إلى الملوك والحكام مثل سيدنا زيد بن ثابت.

وكان منهم من يكتب المعاهدات بين القبائل، مثل سيدنا علي بن أبي طالب.

وكان منهم من يكتب فيما يعرض له من حوائج، مثل سيدنا المغيرة بن شعبة.

وكان منهم من يكتب ما يتمّ بين الناس من المداينات وسائر العقود المالية، مثل سيدنا عبد الله بن الأرقم وغيره.

وكان منهم من يقيد ويسجل مايحرز من المغانم في الغزوات، مثل سيدنا معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي.

وكان منهم من يكتب خرص الحبوب والثمار، مثل سيدنا حذيفة بن اليمان.

وكان هناك كاتب يدعى حنظلة الكاتب، وكان يخلف كل كاتب من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم، إذا حبسه حابس عن موعده، فغلب عليه اسم الكاتب. [99]

وتلك المعلومات لا تدل على إتقانهم للكتابة فحسب، بل تدل على مهارتهم في الحساب، فإن معظم هذه الكتابات لها صلة مباشرة بعلم الحساب.

---

[99] كتّاب النبيّ للدكتورمحمد مصطفى الأعظمي:14/1-15- المكتب الإسلامي-بيروت)

سجِلٌّ للمسلمين وسجِلٌّ للمجاهدين:

وكانت تسجّل أسماء كل من يدخل في الإسلام ، حيث روى الإمام البخاري:

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس. فكتبنا له ألفا وخمس مائة رجل.[100]

وغنيّ عن البيان أنها ما كانت تكتب أسماؤهم فقط، بل كانت تكتب أسماؤهم مصحوبة بالمعلومات اللازمة عن أنسابهم، وقبائلهم، وأحوالهم، ومهاراتهم وما إلى ذلك.

وهكذا كانت تسجل أسماء من كانوا يخرجون في غزوة، أو كانوا يرسلون في سرايا، فقد روى البخاري:

حدثنا أبونعيم، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن أبي معبد، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني كتبت في غزوة كذا وكذا، وامرأتي حاجة. قال ارجع فحج مع امرأتك.[101]

وبالجملة فالكتابة كانت شائعة في عهد رسول الله، والمسلمون كانوا يكتبون الوحي، وكانوا يكتبون الأحاديث، وكانوا يكتبون الأشعار، وكانوا يكتبون كلما كان يستوجب الكتابة من شؤون الدين، أو من شؤون الجماعة، أو من شؤون المجتمع، أو من شؤون الرئاسة، وما إلى ذلك.

---

[100] صحيح البخاري- باب كتابة الإمام الناس : 3060/361/2

[101] صحيح البخاري- باب كتابة الإمام الناس:3061/361/2)

أيّ أمة كانت تفضلهم في الكتابة والحساب؟

فأي شيء كان ينقصهم حتى يقال إنهم كانوا أمة أميّة؟ وأيّ أمة من الأمم في عصرهم كانت تفضلهم، وكانت أرقى منهم في الكتابة والحساب؟

فالواقع أنهم كانوا أفضل أهل زمانهم في علمهم وثقافتهم، ولم تكن هناك أي أمة تحت أديم السماء، تجاريهم في مهاراتهم وقدراتهم.

والظاهر أن الشطر الأول من الرواية، وهو (إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب!) من الإلحاقات، والنبي عليه السلام ما قال إلا ما بعده، وسيدنا عبد الله بن عمر أيضا ما روى إلا ما بعده، فهناك فارق كبير بين أمة أمّية، وبين الأميين، والله سبحانه وتعالى وصف قوم النبي عليه السلام بالأميين، وما وصفهم بأمة أمّيّة.

والذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم، هو: (الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين.)

والكلام بالأصابع، أو بفتح الأصابع وعقد الإبهام لا غضاضة فيه، وكثيرا ما يستعمل هذا الأسلوب في الحوار، حتى في المجتمعات الراقية المثقّفة، التي تقود العلم والحضارة. وهذا لايفيدأبد ا أن المتكلم أو المخاطب ليس له إلمام بالكتابة والحساب.

رواية أخرى تُشبِهُها:

وهناك رواية أخرى جاءت بمثل هذه الكلمات في شأن العرب، فقد روى ابن حبان:

أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن عاصم، عن زر عن أبي بن كعب قال: لقي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جبريل صلى الله عليه، فقال له رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إني بعثت إلى أمة أمية، منهم الغلام والجارية، والعجوز والشيخ الفاني، قال: مرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف.[102]

نقد الرواية:

فهذه الرواية ليست فيها حجة، وفيها نظر من عدة وجوه:

جاءت تلك الرواية عن طريق عاصم، وهو عاصم بن بهدلة.وليست له سمعة طيبة عند الأئمة.

قال ابن أبي حاتم: وذكره أبي فقال: محله عندي محل الصدق، صالح الحديث، وليس محله أن يقال هو ثقة. ولم يكن بالحافظ.

وقد تكلم فيه ابن علية فقال: كأن كل من اسمه عاصم سئ الحفظ! وقال النسائي ليس به بأس. وقال ابن خراش: في حديثه نكرة.

وقال العقيلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ. وقال الدار قطني: في حفظه شيء.

وقال ابن سعد: كان ثقة إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه. وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب وهو ثقة.[103]

وإذا نظرنا إلى الرواية من ناحية مضمونها، فهي تحمل نفس الإشكالات التي رأيناها في الرواية الأولى، بالإضافة إلى إشكالات أخر تزيد عليها، وهي كما يلي:

---

[102] صحيح ابن حبان: 739/14/3

[103] ابن حجر- تهذيب التهذيب- حرف العين: 5/35-36

الإشكال الأول:

المراد في الرواية ب(أمة أمية) هم العرب، والرواية توهم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى العرب، حيث ورد في الرواية: "إني بعثت إلى أمة أمية" والواقع غير ذلك، فإنه عليه السلام ما بعث إلى العرب فقط، وإنما بعث إلى العرب وغير العرب. بعث إلى الناس كافة. حيث قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ.﴾[104]

ولاننس الفرق بين مفهوم (في) وبين مفهوم (إلى)، فالرسول عليه السلام بعث في الأميين، أي: وُلد فيهم، ونشأ فيهم، وعاش فيهم، وعمل فيهم، كما ورد في الآية:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.﴾[105]

ولكن رسالته عالميّة، وهوبعث إلى الناس جميعا، حيث قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.﴾[106]

الإشكال الثاني:

---

[104] سورة سبأ:28

[105] سورة الجمعة:2

[106] سورة الأعراف:158

ما علاقة القراءة على سبعة أحرف بالغلام والجارية والعجوز والشيخ الفاني؟ فكثرة الحروف ليست فيها أي سهولة وأي توسعة على هؤلاء، والله سبحانه وتعالى لم ينزل أيّ كتاب إلا على حرف واحد. ولذلك نرى العلماء اختلفوا اختلافا شديدا، وتحيروا تحيرا كبيرا في تأويل سبعة أحرف!

الإشكال الثالث:

الحوار الذي تذكره الرواية، وهو حوار جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين جبريل عليه السلام حوار غير مفهوم؛ فإن النبي عليه الصلاة والسلام ليس من شأنه أن يملي على جبريل رغباته واقتراحاته في الوحي، وهو لم يفعل ذلك أبدا.

وليس من شأن جبريل عليه السلام أن يقول في الوحي شيئا من عنده، من غير إذن من الله، فما معنى قول سيدنا جبريل عليه السلام: (مر هم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف.)

وهناك رواية أخرى تفيد أن الأمر بالقراءة على سبعة أحرف لم يكن من سيدنا جبريل، وإنما هو أمر من الله سبحانه وتعالى، حيث روى الإمام مسلم:

"حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا غندر عن شعبة ح وحدثناه ابن المثنى وابن بشار قال ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب أن النبى -صلى الله عليه وسلم- كان عند أضاة بنى غفار - قال - فأتاه جبريل عليه السلام فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك». ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك». ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال «أسأل الله معافاته ومغفرته

وإن أمتى لا تطيق ذلك». ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا."[107]

فتلك الرواية تفيد أن القراءة على سبعة أحرف كانت بأمر من الله، لا بأمر من جبريل، وتفيد أن الرواية التي تقدمت عن أبيّ بن كعب، والتي ورد فيها "إني بعثت إلى أمة أمية" ليست محفوظة.

الله أرحم بعباده من غيره:

ثم إذا أمعنا النظر في هذه الرواية الأخرى فهي أيضا لاتخلو من إشكال، فإن رب هذه الأمة أعلم بما تطيقه، وأعلم بما لا تطيقه، ومن أشعر النبيّ عليه الصلاة والسلام أن أمته لا تطيق قراءة القرآن على حرف واحد؟

ولقد صدق ربنا إذ قال:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.﴾[108]

والله سبحانه وتعالى لايكلف نفسا إلا وسعها، فهو أرحم بعباده من غيره، حيث قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا. ﴾[109]

وليس من شأن رسول ولا نبيّ- كما أسلفنا- أن يملي على الله رأيه ورغبته، وإنما مهمته أن يتلقى الأمر من ربه ويبلّغه ويطبّقه، وكانت عادة نبيّنا، وعادة الأنبياء الآخرين، عليهم الصلاة والسلام، هكذا.

[107] صحيح مسلم-باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف:1943/203/2

[108] سورة الملك:14

[109] سورة البقرة: 286

ما قيل في ابن أبي ليلى:

ثم الرواية جاءت عن مجاهد عن ابن أبي ليلى، وكلاهما ليسا بذاك.

فأما ابن أبي ليلى، فهو عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو كثيرا ما يروي عمن لم يسمع منه، وما رآه.

قَالَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ عُمَرَ، فَأَتَاهُ رَاكِبٌ، فَزَعَمَ أَنَّهُ رَأَى الهِلاَلَ؛ هِلاَلَ شَوَّالٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْطِرُوا. ثُمَّ قَامَ إِلَى عُسٍّ مِنْ مَاءٍ، فَتَوَضَّأَ، وَمَسَحَ عَلَى مُوْقَيْنِ لَهُ، ثُمَّ صَلَّى المَغْرِبَ.

فَقَالَ لَهُ الرَّاكِبُ: مَا جِئْتُكَ إِلاَّ لأَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا، أَشَيْئاً رَأَيْتَ غَيْرَكَ يَفْعَلُهُ؟

قَالَ: نَعَمْ، رَأَيْتُ خَيْراً مِنِّي، وَخَيْرَ الأُمَّةِ رَسُوْلَ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَعَلَ ذَلِكَ.[110]

قال عباس الدورى: سئل يحيى بن معين عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عمر، فقال: لم يره. قال: فقلت له: الحديث الذى كنا مع عمر نتراءى الهلال؟ فقال: ليس بشىء.[111]

وقال الخليلى فى "الإرشاد": الحفاظ لا يثبتون سماعه من عمر.

وقال ابن المدينى: و لم يسمع من معاذ بن جبل.

وقال يعقوب بن شيبة: قال ابن معين: لم يسمع من عمر، ولا من عثمان، وسمع من على.

وقال ابن معين: لم يسمع من المقداد.

---

[110] الذهبي– سير أعلام النبلاء : 267/4

[111] المزي– تهذيب الكمال : 3931/462/4

وقال العسكرى: روى عن أسيد بن حضير مرسلا.

وقال الأعمش: حدثنا إبراهيم، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، وكان لا يعجبه، يقول:

هو صاحب مراء.[112]

أقول: سيدنا أبيّ بن كعب توفي في خلافة سيدنا عمربن الخطاب على أرجح الأقوال، كما ذهب إليه الذهبي. [113]

وولد عبدالرحمن بن أبي ليلى لست بقين من خلافة عمر بن الخطاب، حسبما ذكر المزّي.[114]

فهذا يعني أنه لم يسمع من سيدنا أبيّ بن كعب، كما لم يسمع من سيدنا عمر بن الخطاب، وإنما أرسل هذه الرواية إرسالا.

ما قيل في مجاهد:

وأما مجاهد، فهو مجاهد بن جبر، ويقال: ابن جبير، مولى عبدالله بن السائب المخزومي.

قال الدورى: قيل لابن معين: يُروى عن مجاهد أنه قال:

"خرج علينا على"؟!

فقال: ليس هذا بشىء.

وقال أبو زرعة: مجاهد عن علىّ مرسل.

وقال أبو حاتم: مجاهد عن سعد ومعاوية وكعب بن عجرة مرسل.

---

[112] ابن حجر- تهذيب التهذيب:235/6

[113] الذهبي- سير أعلام النبلاء: 349/1

[114] المزي- تهذيب الكمال : 3931/462/4

وقال البرديجى: روى مجاهد عن أبى هريرة وعبد الله بن عمرو، وقيل : لم يسمع منهما، ولم يسمع من أبى سعيد، ولا من رافع بن خديج، و روى عن أبى سعيد من وجه غير صحيح .

وقال ابن خراش: أحاديث مجاهد عن عليّ مراسيل، لم يسمع منها شيئا. [115]

وقال أبو بكر بن عياش: قلت للأعمش: ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب.

وقال الذهبي: قُلْتُ: وَلِمُجَاهِدٍ أَقْوَالٌ وَغَرَائِبُ فِي العِلْمِ وَالتَّفْسِيْرِ تُسْتَنْكَرُ، وَبَلَغَنَا: أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَابِلَ، وَطَلَبَ مِنْ مُتَوَلِّيْهَا أَنْ يُوْقِفَهُ عَلَى هَارُوْتَ وَمَارُوْتَ.

قَالَ: فَبَعَثَ مَعِي يَهُوْدِيّاً، حَتَّى أَتَيْنَا تَنُّوْراً فِي الأَرْضِ، فَكَشَفَ لَنَا عَنْهُمَا، فَإِذَا بِهِمَا مُعَلَّقَانِ مُنَكَّسَانِ.

فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكُمَا، فَاضْطربَا.

فَغُشِيَ عَلِيَّ وَعَلَى اليَهُوْدِيِّ، ثُمَّ أَفَقْنَا بَعْدَ حِيْنٍ، فَلاَمَنِي اليَهُوْدِيُّ، وَقَالَ: كِدْتَ أَنْ تُهْلِكَنَا. [116]

وعلى أية حال، فرواية مجاهد عن ابن أبي ليلى عن أبيّ بن كعب ليست متصلة، وإن كانت توهم أنها متصلة، وهي أقرب إلى الضعف والوَهْيَة منها إلى الصحة والقوة، ومثل تلك الروايات ليس من حقها أن تقبل فيما يتعلق بالقرآن، والأمر ليس أمرا هينا، بل هو أمر عظيم.

******

[115] تهذيب التهذيب: 40/10

[116] سير أعلام النبلاء: 455/4

خلاصة القول:

خلاصة القول أن القرآن الكريم كان يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على الرق والأديم والقرطاس، والرق والأديم والقرطاس كان متوافرا في المدينة من غير شحّ، وكان يحصل عليه كل من أراد أن يكتب القرآن.

والمسلمون كلهم كانوا يحرصون على كتابة الوحي، وكلما نزل وحي تلاه النبي صلى الله عليه وسلم على الرجال، ثم على النساء، وكانت له بعد ذلك جلسات متتابعة لإملاء الوحي على المؤمنين، وكبار الصحابة أيضا كانوا يقومون بدورهم في نشر الوحي، وفي مساعدة الناس على كتابة الوحي.

والنساء ما كنّ أقل حرصا من الرجال على كتابة الوحي، فكنّ يكتبن الوحي مثلما يكتب الرجال، ويحفظنه مثلما يحفظ الرجال.

وعلم الكتابة لم يكن نادرا فيهم، وما روي عنهم أنهم كانوا أمة أمية لا يكتبون ولا يحسبون ولا يقرءون خلاف الواقع تماما، فهم كانوا أفضل من غيرهم في علمهم وثقافتهم، وكانوا يكتبون ويسجلون كلما من شأنه أن يُكتب ويُسجّل، وكانوا أرقى أمة في زمانهم.

وكان من بركات القرآن أن كل من دخل في الإسلام، تعلّم الكتابة إن لم يكن يعلمها، وحذقها وأتقنها حتى يكتب القرآن، فالقرآن مأدبة الجميع، ولا بد لكل مسلم أن يأخذ نصيبه منها.

والقرآن لم يكن في يوم من الأيام غير مرتب، فكل آية، وكل سورة كانت توضع في مكانها بتعليم سيدنا جبريل، وكل وحي كان يكتب على رقّ مستقل، فلم تكن هناك أيّ صعوبة، أو أي حرج في التقديم والتأخير، أو في وضع الوحي الجديد في مكانه من بين الآيات والسور.

وحينما نزلت آخر آية، أو آخر سورة من القرآن، وضعت في مكانها، وبوضعها في مكانها كان القرآن كاملا مرتبا بآياته وسوره.

وحينما اكتمل القرآن عند النبي صلى الله عليه وسلم، اكتمل عند أصحابه ممن كانوا في المدينة وما حولها قبل مغيب الشمس من ذلك اليوم.

ولم يكن أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، إلا وهو يملك نسخة كاملة من القرآن، وقد يملك عدة نسخ حسب أعضاء الأسرة، وهو الذي يسمى المصحف، فالمصاحف في حياة النبي صلى الله عليه وسلم تقدّر بعدد المؤمنين، وقد تكون أكثر، فهي كانت آلافا مؤلفة، كما كان حفاظها آلافا مؤلفة. ولله الحمد.

الباب الثاني

تحقيق ما فعله

الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان لصيانة القرآن

فكان أن أرسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان بمشورة من جلّة صحابة رسول الله، إلى كل إقليم من أقاليم الإسلام نسخة من القرآن مختومة بختم الخلافة، والقرآن هو القرآن الذي ورثه المسلمون من نبيهم، والذي كان عند سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر، وكان عند سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

أرسل سيدنا عثمان بن عفان هذا القرآن مختوما بختم الخلافة إلى كل عاصمة من عواصم الإسلام، حتى يكون هو الحكم الفاصل، والمرجع المعتمد في مواطن الخلاف؛ فإن الأسواق قد تسربت إليها مصاحف مغشوشة إلى المصاحف الصحيحة، وهي التي أحدثت البلبلة في صفوف المسلمين، وكان ذلك من صنع الوراقين المنافقين الأعداء!

وعولجت الأزمة بعرض المصاحف التي تباع في الأسواق على ذلك المصحف الإمام، فما وافقه أقرّ وأجيز، وما خالفه سُحب من السوق وأُحرق.

بسم الله الرحمن الرحيم

كنا في البحث عن تاريخ جمع القرآن وتدوينه، فأوجب علينا الموقف أن نبدأ رحلتنا هذه بدراسة ما رواه أئمة الحديث، وعلى رأسهم الإمام البخاري في صحيحه بخصوص هذا الموضوع، وذلك لكونه أهم مرجع من مراجع السنة، والسيرة النبوية، على صاحبها الصلاة والسلام، فإذا فيه وفي غيره من كتب الحديث أن جمع القرآن وتدوينه تمّ في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه.

وكان الحديث ذاشجون، فأوقفنا أمام تساؤلات وإشكالات، وجرّنا إلى روايات وآيات، وألجأنا إلى موضوعات ودراسات، واضطرّنا إلى وقفات وجولات.

فما زلنا ننتقل من واد إلى واد، ومن أفق إلى أفق، ومن روضة إلى روضة، حتى وصلنا إلى بغيتنا، ووصلنا إلى ماقرّت به أعيننا، وسكنت إليه نفوسنا، والحمد لله.

والآن بعد ما انتهينا من دراسة تلك الرواية وأشباهها دراسة وافية شافية، نأتي إلى رواية أخرى من صحيح البخاري، وهي تتصل بما فعله سيدنا عثمان في عهد خلافته، لحفظ القرآن وصيانته، قال:

حدثنا موسى، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، أن أنس بن مالك حدثه، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام، في فتح إرمينية وأذربيجان، مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة

لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، اختلاف اليهود والنصارى !

فأرسل عثمان إلى حفصة؛ أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة:

إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة، أو مصحف، أن يحرق. [117]

قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾

فألحقناها في سورتها في المصحف. [118]

وروى ابن حبان مثل هذه الرواية، وزاد فيها:

قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذ في (التابوت) فقال زيد: التابوه، وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: التابوت، فرفع اختلافهم إلى عثمان رضوان الله عليه فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه لسان قريش. [119]

---

[117] صحيح البخاري- كتاب بدءالوحي: 4987/416/3

[118] صحيح البخاري- كتاب بدءالوحي: 4988/416/3

ذلك ما رواه الإمام البخاري والإمام ابن حبان فيما فعله سيدنا عثمان بن عفان بخصوص القرآن، ومن يقف عند تلك الروايات، وينعم فيها النظر تختلج في ذهنه عدة إشكالات، وهي كما يلي:

تساؤلات وإشكالات

إشكال أول:

جمع زيد بن ثابت القرآن في عهد أبي بكر ففقد آخر سورة براءة، ولم يجدها إلا عند خزيمة الأنصاري، ما وجدها عند غيره!

ثم حينما عاد إلى تلك الصحف في عهد عثمان بن عفان لينسخها، فقد آية من سورة الأحزاب،كان يسمع رسول الله يقرؤها، فالتمسها فوجدها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، فألحقها في سورتها في المصحف!

أهكذا كان الأمر؟ أمر ليس فيه شيء من المسئوليّة والجدّية! وإن كان الأمر هكذا فمن يضمن لنا الصحة والدقة في جمع القرآن؟

ومن يستطيع أن يلجم الأعداء، إن بسطوا ألسنتهم إلى القرآن بسوء؟

ومن يستطيع أن يقنع الأصدقاء، إن شكّوا في صحته، فإن جميع علماء الشيعة و فقهاءهم، المتقدمين منهم والمتأخرين، يشكّون في صحة هذا القرآن! ويعتقدون فيه التحريف!!

يقول السيد حسين الموسوي من علماء النجف:

"قد جمع المحدث النوري الطبرسي في إثبات تحريفه كتابا ضخم الحجم، سماه: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) جمع فيه أكثر من ألفي رواية تنص على التحريف !

---

[119] صحيح ابن حبان:362/10

وجمع فيه أقوال جميع الفقهاء وعلماء الشيعة في التصريح بتحريف القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين ، حيث أثبت أن جميع علماء الشيعة وفقهاءهم، المتقدمين منهم والمتأخرين، يقولون: إن هذا القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين محرّف."[120]

إشكال آخر:

حينما أمر سيدنا عثمان بنسخ المصاحف، شكل لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص، وقال لهم:

"ما اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم"

وهذا يعني أن القرآن مازال موضع اختلاف، وموضع نقاش إلى عهد عثمان! وهو لما يأخذ شكله النهائي، وقد مضى على وفاة من نزل عليه أكثر من خمسة عشر عاما!

وقد حدث ذلك فعلا، حيث قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذ في (التابوت) فقال زيد: التابوه، وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: التابوت. فرفع اختلافهم إلى عثمان رضوان الله عليه، فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه لسان قريش.

ثم هذا يؤدي إلى إشكال آخر، وهو أن سيدنا زيد بن ثابت هو الذي جمع المصحف الأول في عهد سيدنا أبي بكر، كما تقول جميع الروايات، وهو أصرّ على (التابوه) بالهاء، وهذا يعني أنه كتب (التابوت) في مصحف أبي بكر بالهاء، ولم ينتبه سيدنا أبوبكر، ولا سيدنا عمر لهذه الغلطة، أو لم يعلما ما هو لسان قريش في هذا اللفظ!

---

[120] انظر:لله ثم للتاريخ، للسيد حسين الموسوي من علماء النجف:79/1

إشكال ثالث:

تفيدنا رواية الإمام البخاري أن سيدنا عثمان بن عفان أرسل إلى أم المؤمنين حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها أم المؤمنين حفصة إلى سيدنا عثمان، فنُسخت تلك الصحف في المصاحف.

بينما تفيد رواية الإمام الطحاوي أنه لم يكن هناك نسخ لصحف سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، بل كان استئناف الجمع، قال الطحاوي:

قال زيد: "فأمرني عثمان أن أكتب له مصحفا، وقال:

"إني جاعل معك رجلا لبيبا فصيحا، فما اجتمعتما فيه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إلي".

فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص فلما بلغ: {إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت}[121] قال زيد: "فقلت أنا: التابوه. وقال أبان: {التابوت} فرفعنا ذلك إلى عثمان فكتب: التابوت.

ثم عرضته، يعني المصحف، عرضة أخرى فلم أجد فيه شيئا، وأرسل عثمان إلى حفصة أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردنها إليها، فأعطته، فعرضت المصحف عليها فلم يختلفا في شيء، فردها عليها، وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا المصاحف".[122]

وروى ابن عساكر أن عثمان خطب في الناس يومئذ، - أي: في عهد خلافته- وعزم على كل رجل عنده شيء من كتاب الله، لما جاء به. فكان الرجل يجيء

[121] البقرة: 248

[122] شرح مشكل الآثار: 3118/128/8

بالورقة والأديم، فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دعاهم رجلا، رجلا، فناشدهم: أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أملاه عليك؟ فيقول نعم. فلما فرغ من ذلك عثمان، قال: من أكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت. قال: فأى الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص.

قال: فليمل سعيد، وليكتب زيد. [123]

وذلك يعني أنه جمع المصحف مرتين: مرة في عهد سيدنا أبي بكر، وأخرى في عهد سيدنا عثمان، وبعد ما تم الجمع في عهد سيدنا عثمان عرض المصحف على صحف سيدنا أبي بكر زيادة في الاحتياط، وزيادة في الاطمئنان إلى صحته.

وورد في رواية البخاري وغيره أن "قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم."

وهذا أيضا يعزز رواية الطحاوي ورواية ابن عساكر، ويفيد أنه تمّ جمع المصحف مرتين، وكان كل جمع مستقلا، دون أن يكون الأخير نسخة للجمع السابق. والجامع في كلتا المرتين هو زيد بن ثابت.

وهنا يثور سؤال: إذا كان المصحف قد جمع في عهد سيدنا أبي بكر، وكان موضع ثقة وتقدير عند الجميع، فما الذي دعا سيدنا عثمان إلى جمعه مرة أخرى؟ ولاسيما إذا كان الجامع في المرة الثانية هو الجامع في المرة الأولى!

---

[123] محمدطاهر الكردي-تاريخ القرآن الكريم: 1/49-51

سبب جمع القرآن مرتين:

لقد شغل هذا السؤال بال كثير من العلماء، وحاولوا الرد عليه، قال ابن حجر:

قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة، حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره، كما سيأتي في باب تأليف القرآن.

واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم، وان كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم، رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة.[124]

وقال صاحب "تاريخ القرآن الكريم":

خلاصة ما تقدم أن أبا بكر أول من جمع القرآن بإشارة عمر رضي الله عنهما، وكان جمعه بالأحرف السبعة كلها التى نزل بها القرآن، وسببه الخوف من ضياعه بقتل القراء في الغزوات.

ثم في خلافة عثمان كثر اختلاف الناس في قراءة القرآن فخشي رضي الله عنه عاقبة هذا الأمر الخطير، وقام بجمع القرآن على حرف واحد من الأحرف السبعة،

[124] ابن حجر- فتح الباري- قوله: باب جمع القرآن: 28/9

وهو حرف قريش، وترك الأحرف الستة الباقية حرصا منه على جمع المسلمين على مصحف واحد، وقراءة واحدة.

وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف لمصحفه الذى جمعه أن يحرقه، فأطاعوه واستصوبوا رأيه.

فالمصحف العثماني لم يجمع إلا بحرف واحد من الأحرف السبعة، وإن القراءات المعروفة الآن جميعها في حدود ذلك الحرف الواحد فقط، وأما الأحرف الستة فقد اندرست بتاتا من الامة.[125]

وجوه الفرق بين الجمعين:

تفيد تلك البيانات في الفرق بين الجمعين ما يلي:

* الجمع الأول كان معنيا بترتيب الآيات فقط، وأما الجمع الثاني فهو يتميز بالعناية بترتيب السور، بالإضافة إلى ترتيب الآيات.

* الجمع الأول كان يتسع للغات القبائل كلها، والجمع الثاني اقتصر على لغة قريش فقط.

* الجمع الأول كان يشتمل على الأحرف السبعة كلها، دون الجمع الثاني حيث لم يجمع إلا بحرف واحد. والقراءات المعروفة الآن جميعها في حدود ذلك الحرف الواحد.

تساؤلات حول تلك الوجوه:

وهنا تأتي تساؤلات، أهمها ما يلي:

السؤال الأول:

ما الدليل على أنه لم يكن الاهتمام بترتيب السور في الجمع الأول؟ وهل ترتيب السور أقل أهمية من ترتيب الآيات، أم أشد صعوبة من ترتيب الآيات؟

[125] محمد طاهرالكردي- تاريخ القرآن الكريم: 1/44-45

السؤال الثاني:

حينما كان جمع القرآن وتدوينه في عهد سيدنا أبي بكر، وكان العمل له شأنه وخطورته، فكيف يترك بدون إتمام ؟ وهل عُرف لسيدنا أبي بكر عمل بدأه، ثم تركه بدون إتمام ؟

أليس ترتيب السور من ترتيب الآيات؟ ولو فقدنا هذا الترتيب الذي رتبت عليه السور، ألا نفقد حظا كبيرا من معارف القرآن؟

سؤال ثالث:

إن كان القصد من الجمع الثاني كتابة القرآن على حرف واحد من الأحرف السبعة، فهذا لا يتطلب جمع القرآن من جديد، بل كان الأسهل والأفضل أن يكتب نفس المصحف على حرف واحد، دون الأحرف السبعة، فالأمر هو أمر الكتابة، وليس أمر الجمع.

سؤال رابع:

إن كان مصحف عثمان مكتوبا على حرف واحد، فهذا الحرف الواحد كيف يحوي القراءات المعروفة كلها؟

وما القراءات؟ هل هي الأحرف السبعة أم غيرها؟ إن كانت هي هي فكيف يحوي الحرف الواحد ما يحوي الأحرف السبعة؟ وإن كانت القراءات غير الأحرف، فما سند تلك القراءات؟ وما مكانتها في الدين؟ فإن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وما أنزل على سبع قراءات أو عشر قراءات، أو أقل أو أكثر.

قال الإمام بدرالدين الزركشي:

"القراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل مشهورة.... والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة.أما تواترها عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففيه نظر؛ فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة، وهذا شيء موجود في كتبهم، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبوشامة في كتابه: (المرشد الوجيز) إلى شيء من ذلك.[126]

سؤال خامس:

إذا كان مصحف سيدنا عثمان بأيدينا جميعا وبأعيننا، فما سبب اختلاف العلماء في الحاضر المشهود، ولماذا لا يرجعون إلى المصحف حتى يتأكدوا من عدد الأحرف الموجودة فيه؟ قال الإمام بدرالدين الزركشي:

"قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وهذا المجموع في المصحف هل هو جميع الأحرف السبعة التي أقيمت القراءة عليها، أوحرف واحد منها، ميل القاضي أبي بكر إلى أنه جميعها، وصرح أبو جعفر الطبري والأكثرون من بعده بأنه حرف منها، ومال الشيخ الشاطبي إلى قول القاضي فيما جمعه أبو بكر، وإلى قول الطبري فيما جمعه عثمان رضي الله عنه.

وقال القاضي أبو بكر: الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضبطها عنه الأئمة، وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف".[127]

وقال الحافظ ابن حجر:

---

126 البرهان في علوم القرآن–النوع الثاني والعشرون:1/318–319

127 البرهان في علوم القرآن– النوع الحادي عشر: 1/223

"قال أبو شامة: وقد اختلف السلف في الاحرف السبعة، التى نزل بها القرآن، هل هي مجموعة في المصحف الذى بأيدى الناس اليوم، أو ليس فيه إلا حرف واحد منها؟ مال الباقلانى إلى الأول، وصرح الطبري و جماعته بالثاني، وهو المعتمد. [128]

فما معنى هذا الاختلاف في الأحرف، والمصحف فينا موجود؟ وإذا كان المصحف بأيدينا، ثم اختلفنا في عدد الأحرف الموجودة فيه، فليس له معنى إلا أن هذا اختلاف لا يرجع إلى علم ودراية، ولا يعتمد على بحث ودراسة، وليست له أرضية من الواقع، وإنما هو ظن وتخمين و مجازفة من غير علم!

وإذا كان الوضع هكذا في المصحف الموجود بأيدينا، فماذا نقول في المصحف الذي ما رأيناه وما قرأناه، ألا وهو ما يذكر بمصحف سيدنا أبي بكر؟

إشكال رابع:

تذكر لنا الروايات عن زيد بن ثابت أنه قال:

"فلما فرغتُ عرضته عَرْضةً، فلم أجد فيه هذه الآية:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا. ﴾ (سورة الأحزاب: 23)

قال: فاستعرضتُ المهاجرين أسألهم عنها، فلم أجدْها عند أحد منهم، ثم استعرضتُ الأنصارَ أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدُتها عند خُزيمة بن ثابت، فكتبتها، ثم عرَضته عَرَضَةً أخرى، فلم أجد فيه هاتين الآيتين:

---

[128] فتح الباري– ابن حجر– باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: 38/9

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌعَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (سورة التوبة: 128، 129)

فاستعرضت المهاجرين، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصارَ أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها مع رَجل آخر يدعى خُزيمة أيضًا، فأثبتها في آخر "براءة" ، ولو تمَتْ ثلاثُ آيات لجعلتها سورة على حِدَةٍ."[129]

هكذا! بهذه السهولة! لجعلتها سورة على حِدَةٍ!! كأن تحديد السور في القرآن، أو تقسيم الآيات إلى سور ليس من صنع الله، ولم تزل في الأمر سعة إلى عهد عثمان أن تضاف سورة إلى سور القرآن!!

وتلك الإضافة لا تحتاج إلى سلطان، بل يمكن أن يفعلها من كُلّف بجمع القرآن!!

والجدير بالذكر أن هذا الكلام رُوي عن سيدنا عمر بن الخطاب أيضا، كما رُوي عن سيدنا زيد بن ثابت، حيث روى الإمام أحمد:

حدثنا علي بن بحر، حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} إلى عمر بن الخطاب، فقال: من معك على هذا؟ قال: لا أدري والله، إلا أني أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعيتها، وحفظتها.

---

[129] تفسير الطبري: 49/1

فقال عمر: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا سورة من القرآن، فضعوها فيها فوضعتها في آخر براءة.[130]

ورواية الطبري تفيد أن الذي وضع هاتين الآيتين في آخر سورة براءة، هو سيدنا زيد بن ثابت، ولكن رواية مسند أحمد لا تذكر سيدنا زيد بن ثابت، ولا تذكر من وضع الآيتين في مكانهما.

إشكال خامس:

ما الاختلاف الذي حدث بين المسلمين، أو بين الصحابة وأتباعهم، وتلاميذهم في قراءة القرآن، حتى اضطر سيدنا عثمان إلى أن أمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يمحى أو يحرق؟!

عسى أن نجد الإجابة على هذا السؤال فيما رواه أبوجعفر الطحاوي، قال:

"ثم إن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة غزاها مرج أرمينية، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان، فقال: "يا أمير المؤمنين، أدرك الناس" ! فقال عثمان: "وما ذاك؟" فقال:

"غزوت أرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام وإذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبي، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفرهم أهل الشام!" [131]

---

[130] مسندأحمد: 1715/199/1

[131] أبوجعفر الطحاوي-شرح مشكل الآثار: 3118/128/8

وهنا يثور سؤال: ماذا كانت قراءة سيدنا أبيّ ؟ وماذا كانت قراءة سيدنا عبدالله بن مسعود؟

وهل هما الإثنان تلقيا قراءتهما من النبي صلى الله عليه وسلم أم تلقى أحدهما من غير من تلقى منه الآخر؟ وإذا كان مصدرهما واحدا، ولا شك أنه كان واحدا، فمن أين جاء هذا الاختلاف الكبير بين القراءتين حتى يكفر تلاميذ أحدهما تلاميذ الآخر؟

وإن كان تعدد القراءات مظنة للاختلاف والتكفير، كما يشهد به التاريخ، فلماذا راجع رسول الله سيدنا جبريل واستزاده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف؟ حيث روى البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

أقرأنى جبريل على حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف.[132]

هذا سبب وذاك سبب!

وهناك رواية أخرى تذكر اقتتال الناس من جراء الاختلاف في القرآن، وهذا الاقتتال لم يكن في آرمينية ولا أذربيجان، وإنما كان فيما حول المدينة، وسبب الاختلاف أيضا غير ما شاهده حذيفة بن اليمان في أرمينية وأذربيجان، قال الطحاوي:

حدثنا إبراهيم بن أبي داود قال: حدثنا أبو عمر الحوضي قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة قال: حدثني رجل من بني عامر يقال له أنس بن مالك قال: "اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، فبلغ عثمان فقال:

---

[132] صحيح البخاري- كتاب بدءالوحي: 4991/417/3

"عندي تكذبون به وتختلفون فيه فمن نأى عني كان أشد تكذيبا، وأكثر لحنا"!

وقال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: "اجتمعوا فاكتبوا للناس"، قال: فكتبوا، قال: فحدثني أنهم إذا تدارءوا في آية قالوا: "هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال:

"كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا؟ فيقول "كذا وكذا"، فيكتبونها، وقد تركوا لها مكانا". فهذا في التوكيد فوق ما في حديث خارجة، والله نسأله التوفيق.[133]

فالاختلاف هنا ليس اختلافا في القراءات، وإنما هو اختلاف في القرآن، فقد سماه سيدنا عثمان: "التكذيب واللحن."

كيف كان حسم الخلاف؟

وهنا يأتي سؤال: ماذا فعل سيدنا عثمان للتغلب على هذه المشاكل؟ إن كان هناك اختلاف واختصام بين تلاميذ سيدنا عبد الله بن مسعود، وتلاميذ سيدنا أبي بن كعب، فماذا فعل لحسم هذا الاختلاف، ولحسم هذا الاختصام؟ وكيف جمعهم على مائدة القرآن في جو من الحب والوئام؟

وإن كان هناك لحن وتكذيب أدى المعلمين والغلمان إلى الاقتتال، فماذا فعل لتقويمهم و ترشيدهم ورفع اختلافهم؟ فالروايات لا تسعفنا بشيء يبين لنا حقيقة الأمر، والذي ورد في الروايات لا يفيد غير الجمع المكرر، ثم عرضه على الجمع الأول.

---

[133] شرح مشكل الآثار– باب بيان مشكل ماروي عن رسول الله:8/ 3118/132

رأي الطبري فيما فعله عثمان:

أراد الإمام أبو جعفر الطبري أن يدلي بدلوه في تشخيص ما عولجت به تلك الخلافات، فسرد أولا جمعا من الروايات التي وردت في نزول القرآن على سبعة أحرف، وذكر ما فعله سيدنا عثمان في شأن تلك الأحرف، ثم قال:

"وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتابُ، والآثار الدالة على أن إمامَ المسلمين وأميرَ المؤمنين عثمانَ بن عفان رحمة الله عليه، جمع المسلمين - نظرًا منه لهم، وإشفاقًا منه عليهم، ورأفة منه بهم، حِذارَ الردّةِ من بعضهم بعدَ الإسلامَ، والدّخولِ في الكفر بعد الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضَره وفي عصره التكذيبُ ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النهيَ عن التكذيب بشيء منها، وإخباره إياهم أنّ المِراء فيها كفر- فحملهم رحمةُ الله عليه- إذْ رأى ذلك ظاهرًا بينهم في عصره، ولحَدَاثة عهدهم بنزول القرآن، وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بما أَمِنَ عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن - على حرف واحد.

وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد، وحَرَّق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه. وعزم على كل من كان عنده مُصحفٌ مخالفٌ المصحفَ الذي جمعهم عليه، أن يحرقه. فاستوسقتْ له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أنّ فيما فعلَ من ذلك الرشدَ والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامُها العادلُ في تركها، طاعةً منها له، ونظرًا منها لأنفسها ولمن بعدَها من سائر أهل ملتها، حتى دَرَست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيلَ

لأحد اليوم إلى القراءة بها، لدثورها وعُفُوِّ آثارها، وتتابعِ المسلمين على رفض القراءة بها، من غير جحود منها صحتَها وصحةَ شيء منها ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها.

فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيقُ الناصحُ، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية.[134]

لا وجه للقول بنسخ الأحرف

ذلك ما قاله الإمام الطبري في أمر حرق المصاحف، وتلك وجهة نظره. وهناك وجهات النظر في الموضوع، والمقام لا يتسع لتفصيلها، ولكننا نقول، ونقول بكل إصرار:

لقد أبعد من قال بنسخ عثمان لستّ قراءات من السبع التي أنزل عليها القرآن، حتى ولو كان بمشورة من الصحابة أجمعين.

فتلك القراءات إن كانت مما شرعه الله، فلا ينسخه غير الله، والصحابة عن آخرهم ما كانوا يملكون نسخ شيء من كتاب الله، ولم تكن عندهم، ولا عند غيرهم صلاحيات النسخ لشرع الله!

ثم ما كان الصحابة ليجتمعوا على رفض قراءة، إن كانت مما شرعه منزل القرآن، بل ما كان أيّ صحابي من صحابة رسول الله ليستسيغ ذلك، فضلا عن القول به!

والقراءة إذا كانت قراءة القرآن، وقد شرعها منزل القرآن، فلن تكون فتنة للناس، ولن تكون موضع حرب وخصومة بين الناس.

---

134 تفسيرالطبري: 1/50-51

وإن رأينا رأي العين أن هناك قراءات أصبحت تهدد وحدة الأمة، وتهدد سلامتها فلنعلم أننا كنا في غرور، وأنها لم تكن من عندالله العليم الخبير، الذي لم يشرع أبدا لعباده شيئا، إلا إذا كان خيرا لهم في معاشهم ومعادهم.

ومن الصعب جدا أن نوافق الإمام الطبري في قوله، إذ قال:

"فلا سبيلَ لأحد اليوم إلى القراءة بها، لدثورها وعُفُوِّ آثارها، وتتابعِ المسلمين على رفض القراءة بها، من غير جحود منها صحتَها وصحةَ شيء منها"؟

فلا نرى أيّ شيء من القرآن قد لحقه الدثور، وعفت آثاره، وإن كان هناك شيء لحقه الدثور، وعفت آثاره، فلنعلم أنه لم يكن من القرآن؛ فربنا سبحانه وتعالى كتب لقرآنه الخلود، وهو باق إلى يومنا هذا كما نزل، وسيبقى كذلك مادامت السماوات والأرض، إلا ما شاء ربك.

ثم ليس هناك فرق بين رفض القراءة بها، وبين جحود صحتها؟ وإذا كان الإيمان قائما بصحّة القراءة، فكيف يجوز رفض القراءة بها؟ وإن كانت هناك قراءة مرفوضة من سواد الأمة، فلنعلم أنها لم تك من عند الله، وإنما كانت من تدبير أعداء الله، ولنفرّ منها فرارنا من الأسد!

لماذا غسل الصحيفة؟

ولا بد أن تكون لنا وقفة عند ما رواه ابن جرير وغيره عن زيد بن ثابت، حيث قال:

"ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردنها إليها فأعطته إياها، فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء. فردَّها إليها،

وطابت نفسه، وأمرَ الناس أن يكتبوا مصاحفَ. فلما ماتت حفصةُ أرسل إلى عبد الله بن عمر في الصحيفة بعزمة، فأعطاهم إياها، فغسلتْ غسلا."[135]

هنا يختلج في الذهن سؤال: إذاكان مصحف سيدنا عثمان موافقا لصحيفة سيدنا أبي بكر، ولم يختلفا في شيء، فما الذي دعا سيدنا عثمان إلى أن يرسل إلى سيدنا عبدالله بن عمر في الصحيفة بعزمة بعد وفاة أم المؤمنين، وما الذي حمله على أن يغسلها غسلا؟!

نحن لا نتهم سيدنا عثمان بن عفان في شيء، كما لا نتهم سيدنا زيد بن ثابت في شيء.كيف ؟ ونحن لا نساوي غبار أقدامهما؟! ولو وجدنا غبار أقدامهما، لطيّبنا به ثيابنا، وكحّلنا به عيوننا!

ونحن نرى حبّهما، وحب غيرهما من صحابة رسول الله من صميم الإيمان، ويكفيهم شرفا وكرامة أن ربهم رفعهم وأكرمهم، واختارهم لصحبة نبيه، وخدمة دينه، ونشر رسالته.

القصة مدخولة، والرواية غير محفوظة:

وإنما نقول – حرصا على كرامتهم وكرامة القرآن-: إن تلك القصة- قصة جمع القرآن، وتدوينه، مع ذيوعها، وانتشارها، ورواجها عند أهل العلم غير محفوظة، وغير موثوق بها؛ فقد اختلط فيها الحابل بالنابل، والتبس فيها الحق بالباطل !

هي في صورتها الموجودة أقرب إلى الكذب منها إلى الصدق ! والذي وضع تلك القصة، ما أراد الخير لتلك الأمة.

---

135 تفسير الطبري:49/1- وأبو نعيم الأصبهاني- حلية الأولياء:51/2

الزهري كان متساهلا في الرواية!

والقصة في جميع طرقها ما جاءت إلا عن الزهري، والمعروف في الزهري أنه كان متساهلا في رواية الأحاديث، ولم يكن معنيّا بالصحة، والدقة في الرواية، فقد روي الذهبي عنه، قال:

"كان ابن عباس يقول: خمس يورثن النسيان: أكل التفاح، والبول في الماء الراكد، والحجامة في القفا، وإلقاء القملة في التراب، وسؤر الفأرة."

وقال أبو ضمرة: حدثنا عبيدالله بن عمر، رأيت ابن شهاب يؤتي بالكتاب ما يقرأه ولا يقرأ عليه، فنقول: نأخذ هذا عنك؟ فيقول: نعم. فيأخذونه وما قرأه ولا يرونه.

وقال يونس بن محمد: حدثنا أبو أويس، سألت الزهري عن التقديم والتأخير في الحديث، فقال: إن هذا يجوز في القرآن، فكيف به في الحديث؟ إذا أصيب معنى الحديث، ولم يحلّ به حراما، ولم يحرّم به حلالا، فلا بأس، وذلك إذا أصيب معناه.[136]

وهنا لا بد لنا أن نسأل:

أيّ تقديم أوتأخير يجوز في القرآن؟ ومن الذي أجاز هذا التقديم والتأخير؟ وكيف يصاب المعنى مع التقديم والتأخير؟ وإذا كان تقديم وتأخير في الكلام، ألا يكون له تأثير في المعنى؟

ومن ظن أن التقديم والتأخير ليس له تأثير في أداء المعنى، فليرفع يده من فهم الكلام، وليرفع يده من فهم القرآن!

---

[136] الذهبي، سيرأعلام النبلاء: 5/ 344-347

رسالة الإمام الليث إلى الإمام مالك:

وذكروا عن الإمام الليث بن سعد، فقيه مصر، وهو من أصحاب الإمام مالك وخلّص إخوانه، أنه ترك ابن شهاب الزهري، وانصرف عنه، فأرسل إليه الإمام مالك رسالة أنكر عليه فيها تركه للزهري، فردّ عليه الإمام الليث، وأفاض في الرد، وكان ردا جميلا، وكان فيماكتب:

"وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه، وإذا كاتبه بعضنا، فربما كتب إليه في الشيء الواحد، على فضل رأيه وعلمه، بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا، ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في ذلك، فهذا الذي يدعوني إلى ترك ما أنكرتَ تركي إياه." [137]

وإذاً، فالروايات التي جاءت في جمع القرآن وتدوينه، كلها عن الزهري، وهي لا تصلح أبدا لأن تكون المرجع المعتمد في أمر جمع القرآن وتدوينه، وفيها ما فيها!

ولماذا تلك الروايات كلها عن الزهري، وعن سيدنا زيد بن ثابت دون غيرهما؟ فإن أمر جمع القرآن وتدوينه كان أمرا خطيرا، وكان موضع اهتمام الجميع، وماكان يخص الرجلين فقط، وكان المفروض أن تأتي تلك الروايات، إن كانت صحيحة صادقة، عن جمع من الصحابة والتابعين.

روايات أخرى في تدوين القرآن:

وهناك روايات أخرى غير ما ذكرنا، وهي أيضا توهم جمع القرآن وتدوينه بعد وفاة رسول الله، فلا بد أن تدرس تلك الأخرى أيضا دراسة موضوعية، حتى يتبلور الموضوع، ويُسفر عن جليّته.

---

[137] ابن القيم، إعلام الموقعين، رسالة الليث إلى مالك:77/3

قال أبوداود، أخبرنا عمرو بن عون أخبرنا هشيم عن عوف عن يزيد الفارسى قال سمعت ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهى من المئين، وإلى الأنفال وهى من المثانى، فجعلتموهما فى السبع الطول ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم)؟

قال عثمان: كان النبى -صلى الله عليه وسلم- مما ينزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له:

«ضع هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا». وتنزل عليه الآية والآيتان، فيقول مثل ذلك، وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فمن هناك وضعتهما فى السبع الطول ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم).[138]

تلك رواية أبي داود، وروى الترمذي أيضا نفس الرواية، وفيها بعض الزيادات، قال:

حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد و محمد بن جعفر وابن أبي عدي وسهل بن يوسف قالوا حدثنا عوف بن أبي جميلة حدثنا يزيد الفارسي حدثنا ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أ ن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطول، ما حملكم على ذلك؟

---

[138] سنن أبي داود، باب ما جاء في من جهر بها-البسملة:508/1

فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه و سلم ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم، فوضعتها في السبع الطول.[139]

تساؤلات وإشكالات:

هذه رواية الترمذي، وتلك رواية أبي داود، وكلتاهما تفيدان أن رسول الله لم يتهيّأ له أن يجمع القرآن، ويدوّنه!

بل لم يتهيّأ له أن يبيّن للناس مواقع السور!

بل لم يتهيّأ له أن يبيّن لهم أعداد الآيات، وأعداد السور!

وتفيد الروايتان أن الصحابة، أو الخلفاء الراشدين هم الذين جمعوا الآيات، ورتّبوا السور، ودوّنوا القرآن!

والموقف يستوقف الباحث هنا، ويسأل:

هل تُصدّق أن رسول الله لم يبيّن للناس مواقع السور؟

وهل تُصدّق أنه لم يبيّن للناس أعداد الآيات، وأعداد السور؟

وهل تُصدّق أنه عليه السلام لم يرتب السور، ولم يدوّن القرآن؟

وإذا صدّقت هذا كله، ألا يمسّ ذلك كرامة رسول الله؟

---

[139] سنن الترمذي، سورةالتوبة: 3086/819/1

ألم يكن ذلك كله من وظائفه عليه الصلاة والسلام؟

وهل تقول، إنه عليه السلام لم يكن عند واجباته، ولم يحسن القيام بوظائفه؟

فالواقع أن الروايتين لابد أن تكونا من وضع الأعداء، أعداء رسول الله، وأعداء القرآن!

وإذا كان متن الرواية يشهد على نفسه بالبطلان، فلا داعي لأن نضيّع وقتنا في دراسة الأسانيد.

هذا، ولكننا مضطرون، مع الأسف، إلى تضييع الوقت في دراسة تلك الأسانيد نظرا إلى أناس لا يدركون أهمية الدراية في نقد الروايات، ولا ينصرفون عن أية رواية، ولواشتملت على المناكير الكبر، إلا إذا ثبت الجرح في الرواة.

نقد الأسانيد:

فإن كنا نحب الاطلاع على وضع تلك الروايات من ناحية أسانيدها، فلنعرف أنها جاءت عن طريق يزيد الفارسي، وهو رجل مجهول، لا يعرف أبوه ولا أمه، ولا يعرف أين مولده؟ وأين منشؤه؟ وأين مدفنه؟

فلننظر ما شئنا من كتب الجرح والتعديل، ولننقّب فيها تنقيبا، ولا نظننا نعثر له على أثر!

ولقد اختُلِف فيه قديما، فقيل: هو ابن هرمز، و قيل: غيره.

قال الذهبي: قال فيه النسائي وغيره: متروك .وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. وقال أحمد: كان منكر الحديث.[140]

---

[140] ميزان الاعتدال :308/3، وراجع لمزيد من التفصيل "في علوم القرآن" ص: 58-62، للأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات.

وذكر القرطبي نفس الرواية برواية النسائي عن طريق يزيد الرقاشي قال: قال لنا ابن عباس: ..... الحديث.[141]

ويزيد الرقاشي هو يزيد بن أبان الرقاشي وهو لم يدرك ابن عباس.

قال عنه ابن سعد: كان ضعيفا قدريا.

وقال عمرو بن علي: كان يحي بن سعيد لا يحدّث عنه.

وقال عبد الله بن إدريس: سمعت شعبة يقول: لأن أزني أحب إليّ من أن أروى عن يزيد وأبان!

وقال احمد: لا يكتب حديث يزيد.

وقال ابن معين: رجل صالح، وليس حديثه بشيء.[142]

زاد الطين بلّة!

وزاد الطين بلّة، أن الذي روي عن يزيد الفارسي، أو يزيد الرقاشي، هو عوف. وما يدريك من عوف؟ هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي، الذي قال عنه محمد بن عبد الله الأنصاري: رأيت داود بن أبي هند يضرب عوفا الأعرابي ويقول: ويلك يا قدري!

وقال بندار، وهو يقرأ لهم حديث عوف: والله لقد كان عوف قدريّا رافضيّا شيطانا!!

وقال عبد الله بن المبارك: والله ما رضي عوف ببدعة واحدة، حتى كانت فيه بدعتان. كان قدريا، وكان شيعيا![143]

وذكره الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، وكأنه يكرهه. ويراه متّضِع القدر.[144]

---

[141] القرطبي-الجامع لأحكام القرآن: سورة براءة، 302/4

[142] تهذيب التهذيب لابن حجر، 271/11

[143] ميزان الاعتدال 368/5..الضعفاء للعقيلي:429/3. تهذيب التهذيب: 149/8

وعلى هذا فتلك الروايات التي جاءت عن طريق يزيد الفارسي، أو يزيد الرقاشي، ثم عن طريق عوف بن أبي جميلة الأعرابي، روايات واهية. وآثار الوضع بادية عليها لمن تأمل فيها.

قصة اختلاف المصاحف

وهناك روايات تقول إن المصاحف التي كانت بأيدي الصحابة لم تكن على حرف واحد، بل كان فيها اختلاف. ولم يكن الاختلاف في ألفاظ وكلمات فحسب، بل كان الاختلاف في مجموع السور وعديدها، فبعض المصاحف كانت تضمّ عددا من السور، لا تضمه الأخر، حيث كان يضمّ بعضها سورتي المعوذتين، وسورة الفاتحة، وبعضها الآخر كانت صفرا منها. فقد روى الإمام أحمد:

رواية أولى:

حدثني محمد بن الحسين بن أشكاب ثنا محمد بن أبي عبيدة بن معن ثنا أبي عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى. قال الأعمش وحدثنا عاصم عن زر عن أبيّ بن كعب قال: سألنا عنهما رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: فقيل لي فقلت.[145]

رواية ثانية:

وفي رواية أخرى عن الإمام أحمد، قال: ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[144] صحيح مسلم. الجزء الأول. في المقدمة.2/1

[145] مسندأحمد:21507/129/5

أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له: قل أعوذ برب الفلق فقلتها فقال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم.[146]

رواية ثالثة:

وفي رواية الحميدى قال: حدثنا سفيان قال حدثنا عبدة بن أبى لبابة وعاصم بن بهدلة أنهما سمعا زر بن حبيش يقول: سألت أبى بن كعب عن المعوذتين فقلت:

يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يحكهما من المصحف. قال: إنى سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: «قيل لى: قل. فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– [147]

رواية رابعة:

وفي رواية البزار، قال: حدثنا الحسن بن يحيى الأرزي، قال: حدثنا محمد بن أبي يعقوب الكرماني، قال: حدثنا حسان بن إبراهيم، عن الصلت بن بهرام، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما، وكان عبد الله لا يقرأ بهما.[148]

رواية خامسة:

وروى الطبراني قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، عن الصلت بن بهرام، عن إبراهيم، عن علقمة،

---

146 مسندأحمد:21505/129/5

147 مسند الحميدي- مسند أبي بن كعب:374/185/1

148 مسند البزار: 1586/29/5

عن عبد الله،"أنه كان يحك المعوذتين من المصاحف، ويقول: إنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما، ولم يكن يقرأ بهما". [149]

رواية سادسة:

وفي رواية عن الإمام أحمد قال: ثنا سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم عن زر قال: قلت لأبيّ: إن أخاك يحكهما من المصحف فلم ينكر قيل لسفيان: ابن مسعود؟ قال نعم. وليسا في مصحف ابن مسعود، كان يرى رسول الله صلى الله عليه و سلم يعوذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته، فظن أنهما عوذتان، وأصر على ظنه، وتحقق الباقون كونهما من القرآن، فأودعوهما إياه. [150]

ذكر الإمام ابن كثير تلك الروايات وأشباهها في تفسيره، ثم قال:

"وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء: أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتواتر عنده، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة، فإن الصحابة، رضي الله عنهم، كتبوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، ولله الحمد والمنة." [151]

ابن مسعود مرجع الناس في القرآن:

نقول: سيدنا عبد الله بن مسعود كان من السابقين الأولين، وكان من علماء الصحابة وفقهائهم، بل كان من جهابذة القرآن وكان ممن يُرجع إليهم في علم القرآن.

---

[149] المعجم الكبير للطبراني:9152/235/9

[150] مسند أحمد: 21508/130/5

[151] تفسير ابن كثير:4/ 2581-2582

ولم يكن كأحد من الناس، حتى يقال إنه لم يسمع المعوذتين من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري، قال:

حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن إبراهيم، عن مسروق قال ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال ذاك رجل لا أزال أحبه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود – فبدأ به – وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب.[152]

ميزة سيدنا ابن مسعود:

ويتميز سيدنا عبد الله بن مسعود بحضوره العرضة الأخيرة، حيث روى أصحاب السنن والمسانيد ما يلي، واللفظ لابن سعد:

أخبرنا أبو معاوية الضرير، أخبرنا الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: أي القراءتين تعدون أولى؟ قال: قلنا: قراءة عبد الله فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض عليه القرآن في كل رمضان مرة، إلا العام الذي قبض فيه فإنه عرض عليه مرتين، فحضره عبد الله بن مسعود، فشهد ما نسخ منه وما بدل.[153]

وروى أبوجعفر الطحاوي، قال:

حدثنا فهد بن سليمان قال: حدثنا محمد بن سعيد بن الأصبهاني قال: حدثنا شريك بن عبد الله، وأبو معاوية، ووكيع، عن الأعمش، عن أبي ظبيان قال: قال لي ابن عباس: "على أي القراءتين تقرأ؟"

---

[152] صحيح البخاري،كتاب بدء الوحي:3808/603/2- وصحيح مسلم، باب من فضائل عبدالله بن مسعود:7/148/6488

[153] مسند أحمد:مسند عبدالله بن العباس:3422/362/1-وسنن سعيد بن منصور:1 / 240- والتوحيد لابن منده: 650/1، ومصنف ابن أبي شيبة: في درس القرآن: 559/10، والطبقات الكبرى لابن سعد: 260/2

قلت: على القراءة الأولى، قراءة ابن مسعود، قال: "بل قراءة ابن مسعود هي الآخرة، إن جبريل صلى الله عليه وسلم كان يعرض على نبي الله صلى الله عليه وسلم القرآن في كل رمضان، فلما كان العام الذي مات فيه عرضه مرتين، فشهد عبد الله ما نسخ منه وما بدل".[154]

فليس من السهل أن نقول إن سيدنا عبد الله بن مسعود لم يسمع سورتين عظيمتين هما ختام المسك للقرآن، وذلك مع تقدمه في الإسلام، وطول صحبته لرسول الله، وشدة لزومه له عليه الصلاة والسلام في حضره وسفره، وغزواته ورحلاته!

فقد أخرج البخاري والنسائي من حديث أبي موسى، قال:

حدثني عبد الله بن محمد وإسحاق بن نصر، قالا: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن أبي موسى، رضي الله عنه، قال قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينا ما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت من كثرة دخولهم ولزومهم له.[155]

يحلف ابن مسعود على أكبر من ذلك!

ولايقف الأمر عند سماع السور والآيات، فسيدنا عبد الله بن مسعود يحلف على أكثر وأكبر من ذلك، فقد روى الشيخان، واللفظ للبخاري:

حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله، رضي الله عنه، والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة

[154] شرح مشكل الآثار- باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله: 3120/138/8

[155] صحيح البخاري-كتاب بدء الوحي:4384/143/3- والسنن الكبرى للنسائي:8263/72/5

من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.[156]

ابن مسعود أجلّ مما نسب إليه:

فالواقع أن سيدنا عبدالله بن مسعود أجلّ وأفقه مما نسب إليه، ولذلك نرى فريقا من جهابذة العلماء ردوا هذا الكلام على وجوه أصحابه، ولا وجاهة في الاحتمالات التي ذهب إليها الإمام ابن كثير وغيره ممن يقولون بمثل قوله، فالروايات التي قدمناها لا تقرّ تلك الاحتمالات.

والإمام ابن حزم كان موفقا جدا حينما قال:

وكل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتان.[157]

وقال الإمام النووي:

"أجمع المسلمون علي أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئا منه كفر، وما نقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل، ليس بصحيح عنه." [158]

وقال الإمام السيوطي:

ومن المشكل على هذا الأصل ما ذكره الإمام فخر الدين قال نقل في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من

---

[156] صحيح البخاري-كتاب بدء الوحي: 5002/420/3- صحيح مسلم-باب من فضائل عبدالله بن مسعود: 6487/148/7

[157] المحلى لابن حزم – جزء العقيدة - : 13/1

[158] المجموع شرح المهذب للنووي- مسائل مهمة تتعلق بقراءة الفاتحة وغيرها: 396/3

القرآن، وهـو في غايـة الصعوبة لأنـا إن قلنـا إن النقـل المتـواتر كـان حاصـلا في عصر الصحابة بكون ذلك مـن القـرآن فإنكـاره يوجـب الكفـر، وإن قلنـا لـم يكـن حاصلا في ذلك الزمان فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر في الأصل.

قال: والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابـن مسـعود نقـل باطـل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة.

وكذا قال القاضي أبو بكـر: لم يصـح عنـه أنهـا ليسـت مـن القـرآن ولا حفـظ عنه، إنما حكها وأسقطها من مصحفه إنكارا لكتابتها لا جحدا لكونها قرآنا؛ لأنـه كانت السنة عنده ألا يكتب في المصحف إلا ما أمر النبي بإثباتـه فيـه، ولـم يجـده كتب ذلك ولا سمعه أمر به.[159]

موقف ابن حجر من تلك الروايات:

هذا موقف فريق من فطاحل العلماء، وهناك موقف آخر يمثلـه الحـافظ ابـن حجر صاحب فتح الباري حيث لا يستريح إلى هذا الموقـف الـذي وقفـه الإمـام الرازي والإمام النووي والإمام السيوطي والإمام ابن حزم رحمهـم الله مـن تلـك الروايات، وبالعكس من ذلك هـو يجـزم بصـحة مـا روي في هـذا البـاب، حيـث يقول:

"قال الفخر الرازي في أوائل تفسيره: الأغلب على الظن أن هـذا النقـل عـن ابن مسعود كذب باطل، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل، بل الرواية صحيحة، والتأويل محتمل."[160]

---

[159] الإتقان في علوم القرآن- تنبيهات الأول:1/104-105

[160] فتح الباري: 8/950

إشكالات في الروايات:

وهنا لابد لنا من وقفة متأنية مع تلك الروايات حتى نعجم عودها، ونطلع على حقيقة أمرها.

ولقد درسنا تلك الروايات دراسة موضوعية جادة، ودرسناها متنا وسندا، فوجدنا فيها ضعفا، ووجدنا فيها خللا من كلتا الناحيتين، فنبدأ كلامنا ببيان ما في متون تلك الروايات من إشكالات، ثم نعود إليها حتى نبين ما في أسانيدها من خلل وعلل.

والإشكالات التي تحيط بتلك المتون كما يلي:

الإشكال الأول:

إن صحّ أن سيدنا عبدالله بن مسعود كان ينكر قرآنيّة تلك السور، وبُلّغ ذلك سيدنا أبيّ بن كعب، فماذا فعل سيدنا أبي بن كعب حتى يخرج أخاه من الخطإ الذي تورط فيه؟

الإشكال الثاني:

هل اجتمع بعد ذلك سيدنا أبي بن كعب بسيدنا عبدالله بن مسعود حتى يبين له الأمر؟ أو هل استعان بغيره حتى يقنعه بقرآنية تلك السور؟ فإن الموقف كان يقتضي ذلك، ولن يعجز عنه قوم إذا تعاونوا في الأمر. فهل فعل أبيّ بن كعب ما كان عليه أم انصرف عنه، وتركه وشأنه؟

الإشكال الثالث:

الكلام الذي روي عن سيدنا أبي بن كعب لا يتناسب مع المقام، فليس فيه إثبات لقرآنية تلك السور، وإنما مفاده أن سورة الفلق، أو سورة الناس لا تقرأ إلا مقرونة ب"قل".

وليس في كلامه نكير أيّ نكير على سيدنا عبدالله بن مسعود على ما يفعل من حكّ السورتين أو حكّ السور الثلاث من المصحف.حتى ورد في رواية الإمام أحمد عن زرّ بلفظ صريح: قلت لأبيّ: إن أخاك يحكّهما من المصحف فلم ينكر!

الإشكال الرابع:

هناك سؤال هامّ يتصل بزمن إنكار تلك السور، وحكّها من المصحف، فمتى كان هذا الإنكار؟ ومتى كان هذا الحك من المصحف؟

لعل الجواب واضح لا يختلف فيه اثنان، فهو إمّا حدث في خلافة سيدنا أبي بكر الصديق، وإمّا حدث في خلافة سيدنا عمر الفاروق؛ فإن سيدنا أبي بن كعب لم ير غير هاتين الخلافتين، وتوفي على القول الراجح في خلافة سيدنا عمر الفاروق.

قال الإمام الذهبي:

قال محمد بن عمر الواقدي: تدل أحاديث على وفاة أبي بن كعب في خلافة عمر، ورأيت أهله وغيرهم يقولون: مات في سنة اثنتين وعشرين بالمدينة، وأن عمر قال: اليوم مات سيد المسلمين.

قال: وقد سمعنا من يقول: مات في خلافة عثمان، سنة ثلاثين.

قال: وهو أثبت الأقاويل عندنا، وذلك أن عثمان أمره أن يجمع القرآن.

وقال محمد بن سعد: حدثنا عارم، حدثنا حماد، عن أيوب، عن ابن سيرين:

أن عثمان جمع اثني عشر رجلا من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت في جمع القرآن.

قلت: هذا إسناد قوي، لكنه مرسل، وما أحسب أن عثمان ندب للمصحف أبيا، ولو كان كذلك لاشتهر، ولكان الذكر لأبيّ لا لزيد.

والظاهر وفاة أبيّ في زمن عمر، حتى إن الهيثم بن عدي وغيره ذكرا موته سنة تسع عشرة. وقال محمد بن عبد الله بن نمير، وأبو عبيد، وأبو عمر الضرير: مات سنة اثنتين وعشرين، فالنفس إلى هذا أميل.[161]

والقرائن كلها تؤيد رأي الذهبي، دون رأي الواقدي، فلو أنكر سيدنا عبد الله بن مسعود قرآنية تلك السور في خلافة سيدنا أبي بكر الصديق، أو في خلافة سيدنا عمر الفاروق لكان من المستحيل أن يُلقى له الحبل على الغارب، وكان من المستحيل أن يترك وما يختار، وليست قصة سيدنا عمر مع هشام بن حكيم عنا ببعيد! فقد روى البخاري:

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها وكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها![162]

---

[161] سير أعلام النبلاء:349/1

[162] صحيح البخاري- كتاب بدءالوحي: 2419/127/2

فكان لابد من حوار ونقاش، وكان لابد من إقناع واقتناع، وكان لابد من تصحيح الخطأ، وإقامة العوج، إن كان هناك خطأ، وإن كان هناك عوج. والجوّ جوّ إيمان وإخلاص، وجوّ نصح ومودة، وجوّ إقامة القرآن والحفاظ عليه، ولم يكن جوّ عزة وشقاق، أو جو تنافر واستكبار!

الإشكال الخامس:

ما كان ابن مسعود ليستبدّ برأيه في شأن كتاب الله، فليس ذلك من شأن المتقين. وليس من طبيعة العلم الاستبداد بالرأي، ولاسيما إذا كان العلم علم كتاب الله، فالأمر خطير، والحساب ثقيل!

الإشكال السادس:

إن نقلت إلينا الروايات إنكار سيدنا عبد الله بن مسعود لسورتي المعوذتين ولسورة الفاتحة، وإن نقلت إلينا أنباء حكّها من المصاحف، فلماذا لم تنقل ردود الفعل لإنكاره وحكه لها؟ ولماذا لم تنقل ما تبعه من محاولات إقناعه على مستوى الفرد، أو على مستوى الجماعة، أو على مستوى الخلافة؟

تلك إشكالات تحيط بمتن تلك الروايات، وأما الأسانيد فهي ليست أحسن حالا من متونها.

نقد الأسانيد

نقد الرواية الأولى:

فأما الرواية الأولى فجاءت عن طريق الأعمش عن أبي إسحاق، فأما أبوإسحاق فهو عمرو بن عبدالله أبوإسحاق السبيعي الكوفي:

قال ابن حبان فى كتاب "الثقات" : كان مدلسا.

وكذا ذكره فى المدلسين حسين الكرابيسى، و أبو جعفر الطبرى.

وقال ابن المدينى فى "العلل": قال شعبة: سمعت أبا إسحاق يحدث عن الحارث بن الأزمع بحديث، فقلت له: سمعت منه؟ فقال: حدثنى به مجالد، عن الشعبى، عنه.

وقال أبو إسحاق الجوزجانى: كان قوم من أهل الكوفة لا تحمد مذاهبهم يعنى: التشيع. هم رؤوس محدثى الكوفة مثل أبى إسحاق و الأعمش و منصور و زبيد و غيرهم من أقرانه، احتملهم الناس على صدق ألسنتهم فى الحديث، ووقفوا عندما أرسلوا لما خافوا أن لا يكون مخارجها صحيحة.

فأما أبو إسحاق فروى عن قوم لا يُعرفون، ولم ينتشر عنهم عند أهل العلم إلا ما حكى أبو إسحاق عنهم، فإذا روى تلك الأشياء عنهم كان التوقف فى ذلك عندى الصواب .

وحدثنا إسحاق، حدثنا جرير، عن معن قال: أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش، و أبو إسحاق يعنى للتدليس .

قال يحيى بن معين: سمع منه ابن عيينة بعدما تغير.[163]

وأما الأعمش، فهو سُلَيْمان بن مهران الأسدي الكاهلي، مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش.

وهو رجل متنازع فيه بين أئمة الجرح والتعديل فعن مغيرة، قال: ما أفسد أحد حديث الكوفة إلا أبو إسحاق، يعني السبيعي - وسُلَيْمان الأعمش.[164]

---

[163] تهذيب التهذيب:59/8

[164] العلل ومعرفة الرجال لأحمد : 322/244/1

وَقَال يزيد بن زريع: حَدَّثَنَا شعبة، عن سُلَيْمان الأعمش وكان والله خربيا سبئيا، والله لولا أن شعبة حدث عنه ما رويت عنه حديثًا أبدا.[165]

قلت: يريد لما هو عليه من التشيع، وهو فيه، لما نعرفه من توثيق كتب الشيعة له، وعدّهم إياه من خواص أصحاب جعفر بن محمد المعروف بالصادق.[166]

قال الذهبي: وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدرى به، فمتى قال حدثنا فلا كلام، ومتى قال "عن" تطرق إلى احتمال التدليس إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن أبى وائل، وأبى صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال.[167]

نقد الرواية الثانية:

وأما الرواية الثانية فهي جاءت عن طريق عاصم بن بهدلة. وذاكرته ليست أمينة.

قال يحيى القطان: ما وجدت رجلا اسمه عاصم إلا وجدته ردئ الحفظ.

وقال النسائي: ليس بحافظ.

وقال الدار قطني: في حفظ عاصم شيء.

وقال ابن خراش: في حديثه نكرة.[168]

نقد الرواية الثالثة:

وأما الرواية الثالثة فهي جاءت عن طريق سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي ثم المكي، الامام المشهور فقيه الحجاز في زمانه، كان يدلس لكن لا يدلس الا

---

[165] العلل لأحمد: 2517/342/1

[166] تفاصيل ذلك في معجم رجال الحديث للخوئي : 8 / الترجمة 5509

[167] ميزان الاعتدال: 224/2

[168] ميزان الاعتدال:357/2

عن ثقة، وادعى بن حبان بأن ذلك كان خاصا، ووصفه النسائي وغيره بالتدليس، وذكر البرهان الحلبي لسفيان بن عيينة ترجمتين الاول هذا.

والثاني: سفيان بن عيينة الهلالي مولى مسعر بن كدام من أسفل ليس بشيء كان يدلس.[169]

نقد الرواية الرابعة:

وأما الرواية الرابعة: فمن رواتها حسان بن إبراهيم بن عبدالله الكرماني.

قال عنه النسائي: ليس بالقوى.

وقال ابن عدي: حدث بإفرادات كثيرة وهو من أهل الصدق إلا أنه يغلط.[170]

قال ابن حجر: قلت: وجاء أن أحمد أنكر عليه بعض حديثه، وقال العقيلي: في حديثه وهم.

وقال ابن المديني: كان ثقة، وأشد الناس في القدر.

وقال ابن حبان في الثقات: ربما اخطأ.[171]

نقد الخامسة والسادسة:

وأما الرواية الخامسة فمن رواتها حسان بن إبراهيم، والأزرق بن علي. فأما حسان بن إبراهيم فعرفناه، وأما الأزرق بن علي، فهو الازرق بن علي بن مسلم الحنفي أبو الجهم، وهو ضعيف.

قال ابن حبان: يغرب.[172]

---

169 ابن حجر-تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: 32/1

170 ميزان الاعتدال:222/2

171 تهذيب التهذيب: 2/ 215

172 الثقات: رقم التذكرة: 12612

وأما الرواية السادسة فهي جاءت عن طريق سفيان بن عيينة، وعاصم بن بهدلة، وقد مر الكلام عليهما.

موجز الكلام أن الروايات التي جاءت في شأن سيدنا عبدالله بن مسعود، والتي تفيد أنه لم تكن في مصحفه سورة الفاتحة، وتفيد أنه كان يحك المعوذتين من المصاحف، تلك الروايات كلها جاءت بأسانيد ليست فيها حجة، وهي دون مستوى الدعوى، فمثل تلك الدعوى الكبيرة الخطيرة لا تقبل إلا إذا جاءت بأسانيد قوية ونيّرة مثل الشمس في ريع الضحى.

مضافة إلى ذلك تلك الإشكالات العضال التي تحيط بمتون تلك الروايات، والتي سبق أن أشرنا إليها.

والأمر لا يقف عند ضعف تلك الروايات من ناحية أسانيدها، ولايقف عند سقمها من ناحية متونها، فالأمر أكبر من ذلك، فهي حلقات من تلك السلسلة المشئومة التي صنعت لتشكيك الناس في صحة القرآن وقطعية ثبوته، فإنهم إذا شككوا في فاتحة الكتاب وخاتمته، وشككوا في صحة جمعه وتدوينه، وجعلوا كل ما يتعلق به موضع خلاف بين أصحاب رسول الله، فماذا بقي من الكيد ضد القرآن، ولكن الله غالب على أمره.

قصة الاختلاف في القراءات:

قال العلامة الشاطبي بعد ما ذكر حديث سيدنا حذيفة بن اليمان بشأن الاختلاف في القرآن، وبعد ما ذكر نسخ الصحف في المصاحف بأمر سيدنا عثمان، قال:

"حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، بعث عثمان في كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوها، ثم أمر بما سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

فهذا أيضاً إجماع آخر في كتبه وجمع الناس على قراءة لم يحصل منها في الغالب اختلاف. لأنهم لم يختلفوا إلا في القراءات. حسبما نقله العلماء المعتنون بهذا الشأن. فلم يخالف في المسألة إلا عبد الله بن مسعود فإنه امتنع من طرح ما عنده من القراءة المخالفة لمصاحف عثمان، وقال:

"يا أهل العراق! ويا أهل الكوفة: اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها، فإن الله يقول: "ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة"، والقوا الله بالمصاحف."

فتأمل كلامه فإنه لم يخالف في جمعه، وإنما خالف أمراً آخر . ومع ذلك فقد قال ابن هشام : بلغني أنه كره ذلك من قول ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم."[173]

كلام غير وجيه:

هذا ما قاله العلامة الشاطبي، والذي قاله الشاطبي عن سيدنا عثمان من جمعه الناس على قراءة واحدة، وأمره بما سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق، ليس له وجه وجيه، وما كان سيدنا عثمان ليمنع المسلمين من قراءة مشروعة من الله، مهما كانت الأسباب، ومهما كانت الظروف، وماكان صحابة رسول الله ليوافقوا سيدنا عثمان بن عفان إن أراد شيئا من ذلك.

فأيّ شخص يحب أن يتنازل عن قراءة تلقاها من رسول الله مباشرة؟

---

[173] الشاطبي– كتاب الاعتصام: 406/1

وأي شخص يقبل أن يحرق بيده مصحفه الذي عرضه على نبيه المصطفى، وأقرّه عليه الصلاة والسلام؟

فلن يستجيب الصحابة لأيّ إمام أو لأيّ خليفة إن أراد ذلك،كائنا من كان، حتى ولو كان سيدنا أبوبكر أو سيدنا عمر!

فالقول بأن سيدنا عثمان طلب ذلك، واستجاب له الصحابة أجمعون ما عدا سيدنا عبد الله بن مسعود قول ليس له خطام ولا زمام، وهو يشهد على نفسه بالبطلان.

وأما العمل العظيم الذي أنجزه الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان لحفظ كتاب الله وصيانته من كيد أعدائه، وكان الصحابة كلهم من ورائه، وفي تأييده، فسيأتي تفصيله في مكانه بإذن الله.

استناد غير سليم:

ثم ما ذكر في الرواية من استناد سيدنا عبد الله بن مسعود إلى قوله تعالى: (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) لحث الناس على الاحتفاظ بما عندهم من المصاحف، آية واضحة على أنه قول مكذوب، فآية الغلول جاءت في سياق الذمّ وتنزيه ساحة الرسول عنه، وجاءت في سياق الوعيد والتحذير، ولا يتصور أن يستند إليها عالم من علماء القرآن لحثّ الناس على عمل من أعمال البرّ، أو لحث الناس على الاحتفاظ بكتاب الله، فما ظنك بجهبذ من جهابذة القرآن؟ فالاستناد غير سليم، ولا يمكن أن يركن إليه مثل سيدنا عبدالله بن مسعود.

كلام واحد بمناسبتين مختلفتين؟!

ثم هذا الكلام ما نسب إلى سيدنا عبد الله بن مسعود في سياق مخالفته لسيدنا عثمان في أمر القراءات فقط، بل نسب إليه في سياق الحزازة والشحناء ضد سيدنا زيد بن ثابت كذلك، فقد روى الترمذي:

"قال الزهري: فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصحف، ويتولاه رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر! يريد زيد بن ثابت. ولذلك قال عبد الله بن مسعود: يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها فإن الله يقول: {ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة} فالقوا الله بالمصاحف.

قال الزهري: فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: هذا حديث حسن صحيح وهو حديث الزهري لا نعرفه إلا من حديثه."[174]

والغريب أن الإمام الترمذي يعلّق على تلك الرواية بأنها حديث حسن صحيح، والموقف يوحي بأنها فرية بلا مرية، وأكذوبة من الأكاذيب، وسيدنا عبد الله بن مسعود بريء مما نسب إليه براءة الذئب من دم ابن يعقوب!

كلام لا يليق به ولا بأمثاله!

هو بريء من هذا الكلام في المرتين، بريء منه في سياق مخالفة عثمان في شأن القراءات، وبريء منه في سياق النيل من كرامة سيدنا زيد بن ثابت.

---

[174] سنن الترمذي: 3104/824/1

والصحابة الذين تربوا على يد رسول الله، كلهم كانوا إخوة في الله، يكرم بعضهم بعضا، ويتعاون بعضهم مع بعض على البر والتقوى، في جوّ من الصفاء والمودة، من غير حسد ولا حزازة ولا شحناء.

علما بأن الرواية من مرسلات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، فليس له سماع من سيدنا عبد الله بن مسعود، والمراسيل لا يعتمد عليها في مثل هذه الأمور الخطيرة.

وسيدنا عبد الله بن مسعود أحق بحسن الظن، وأحق بالحرص على كرامته من غيره، ممن رووا عنه ما ليس من شأنه، ولا من شأن أي صحابي من صحابة رسول الله!

فالواقع أن صحابة رسول الله لم يكن فيهم أيّ اختلاف فيما يتعلق بكتاب الله، لا في آياته، ولا في سوره، ولا في قراءاته، ولا في أيّ شأن من شئونه، والحمد لله.

دُوّن القرآن في حياة رسول الله:

وذلك لأن القرآن دوّن في حياة رسول الله، وعلى يد رسول الله، فلم تبق هناك أي ثغرة، أو أي فرجة لدخول الخلافات، أو الاختلافات بين صفوف الصحابة في شأن القرآن، والاختلافات التي وردت بها الروايات، أو وردت بها كتب التاريخ ما نجمت قرونها إلا بعد ذهاب ذلك الجيل القرآني الفريد. والخلافات أو الاختلافات التي نسبت إلى كبار الصحابة كلها من كيد الأعداء، الذين ظهروا في مجالس الأمة في ثوب الأصدقاء!

والروايات التي وصلت إلينا عن جمع القرآن وتدوينه بعد وفاة رسول الله كلها غير محفوظة، فإنه خلاف الأصل، وخلاف الواقع أن يذهب رسول الله، والقرآن في صورة أجزاء مبثوثة، وصحف متفرقة! لا، بل في العسب،

والكرانيف، واللخاف، والرقاع، وقطع الأديم، وعظام الأكتاف، والأضلاع من الشاء والإبل! فهي مظنة للضياع حتما.

فرسولنا عليه الصلاة والسلام ما فارق الدنيا إلا بعد ما دوّن القرآن وحصّنه، وأحكم الأسوار حوله، ومنع الزمن أن يتطرق إليه بشيء، وجعله بذلك فوق الزمن.

رواية تفيد ذلك بلفظ صريح:

ولنا العبرة فيما روى البخاري، قال:

حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد الله بن المثنى قال حدثني ثابت البناني وثمامة عن أنس بن مالك قال: مات النبي صلى الله عليه و سلم ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد . قال: ونحن ورثناه.[175]

وروى مسلم نحوه: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أنسا يقول جمع القرآن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أربعة، كلهم من الأنصار: معاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.قال قتادة: قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال أحد عمومتى.[176]

فهؤلاء الأربعة جمعوا القرآن في حياة النبي عليه السلام، بشهادة أنس بن مالك، وهو وأهله ورثوا مصحف أبي زيد لقرابة بينهم.

والشاهد في الروايتين جمع القرآن في حياة رسول الله، وليس عدد الجامعين، فالجامعون كانوا أكثر من ذلك وأكثر، وإذا جمعنا هاتين الروايتين

[175] صحيح البخاري، باب القراء من أصحاب النبي:5004/420/3

[176] صحيح مسلم، باب من فضائل أبي بن كعب:6494/149/7

بالذات، قفز العدد من أربعة إلى خمسة، حيث ذكر البخاري في هؤلاء الأربعة: أبا الدرداء، وذكرمسلم: أبيّ بن كعب، وكلاهما قد جمعا القرآن.

الجمع هو الجمع دون الحفظ:

ولا يقولنّ قائل: إن "الجمع" في الروايتين هو حفظ القرآن عن ظهر القلب، وليس التدوين. فإن قول أنس في رواية البخاري: (ونحن ورثناه) لا يستقيم مع هذا المفهوم، حيث لا تجري الوراثة في الحفظ، وإنما تجري في القرآن المجموع المدوّن، وهو المصحف.

ثم إن العرب لم يستعملوا لفظ "الجمع" أبدا بمعنى الحفظ عن ظهر القلب، وإنما هو استعمالٌ محدثٌ يأباه الذوق العربيّ الصِرْف البحت!

ولعل الذين صرفوا لفظ "الجمع" إلى هذا المعنى، صرفوه حتى يوهموا الناس أن القرآن لم يكن مجموعا ومرتبا في حياة رسول الله، والذي ورد في الروايات من ذكر"الجمع"، إنما هو الحفظ عن ظهر القلب.

وهكذا رموا عصفورين بحجر واحد! حيث نفوا تدوين القرآن في حياة رسول الله، و قلّصوا عدد الحفاظ في عهد نزول القرآن، وحصروهم في أربعة!

وقالوا: الخلفاء الراشدون أيضا لم يحفظوا القرآن ما عدا عثمان بن عفان!

فقد رووا عن الشعبي أنه قال: جمعه ستة: أبيّ، وزيد، ومعاذ، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، و مجمع بن جارية، قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة.

قال: ولم يجمعه أحد من الخلفاء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم غير عثمان.[177]

---

[177] البرهان في علوم القرآن– النوع الثالث عشر: في بيان جمعه ومن حفظه: 241/1

ولاندري، ما قولهم في رسول الله ؟ هل يعدّونه عليه الصلاة والسلام من حُفّاظ القرآن؟ أم يجرّدونه أيضا من تلك الكرامة!!

حفّاظ القرآن في عهد رسول الله:

ولا بد أن تكون لنا وقفة متأنية عند ظاهرة حفظ القرآن في عهد رسول الله، فقد شاع في الناس أن حفاظ القرآن في عهد رسول الله كانوا من القلة بحيث يعدّون على الأصابع!

وتلك شائعة من الشائعات ليس إلا، شائعة ليس لها خطام ولازمام!

فالواقع أن المجتمع الإسلامي الذي استقبل كتاب الله غضّا طريا كان عامرا بحفّاظ القرآن، وذلك لأن القرآن كان عدّتهم وعتادهم، وروحهم وحياتهم، وكان حديث مجالسهم في صباحهم ومسائهم، وكان شغلهم الشاغل في ليلهم ونهارهم.

و مما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد، قال:

قال عبد الله دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي، فقال ألم أخبر أنك تقرأ القرآن في كل يوم وليلة؟ فاقرأه في كل شهر. قلت إني أقوى على أكثر من ذلك. قال فاقرأه في نصف كل شهر. قال قلت إني أقوى على أكثر من ذلك. قال فاقرأه في كل سبع، لا تزيدنّ.[178]

وروى النسائي: أخبرنا الحسن بن إسماعيل بن سليمان بن مجالد، وأحمد بن حرب، عن أسباط بن محمد، عن مطرف، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن عبد الله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله، في كم أختم القرآن؟ قال: اختمه في كل شهر قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: اختمه في خمس وعشرين قلت:

[178] مسند أحمد: 6876/200/2

إني أطيق أفضل من ذلك قال: اختمه في خمس عشرة قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: اختمه في عشر قلت: إني أطيق أفضل من ذلك قال: اختمه في خمس قال: إني أطيق أفضل من ذلك قال: فما رخص لي.[179]

وعن قيس بن أبي صعصعة أنه قال: "يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: في كل خمس عشرة ، قال فإني أجدني أقوى من ذلك، قال ففي كل جمعة قال: فإني أجدني أقوى من ذلك، فسكت.[180]

ذلك غيض من فيض، وإلا فأخبار نَهمة الصحابة بالقرآن كثيرة وكثيرة.

كلمة وجيهة للزرقاني:

يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني:

"وأما الصحابة رضوان الله عليهم فقد كان كتاب الله في المحل الأول من عنايتهم، يتنافسون في استظهاره وحفظه، ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه، ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه.

وربما كانت قرة عين السيدة منهم أن يكون مهرها في زواجها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها.

وكانوا يهجرون لذة النوم وراحة الهجود، إيثارا للذة القيام به في الليل، والتلاوة له في الأسحار، والصلاة به والناس نيام، حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة في غسق الدجى، يسمع فيها دويا كدوي النحل بالقرآن!

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكي فيهم روح هذه العناية بالتنزيل، يبلغهم ما أنزل إليه من ربه. ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم، من يعلمهم

[179] السنن الكبرى للنسائي: 8065/25/5

[180] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال- فصل في آداب التلاوة: 4147/326/2

ويقـرئهم،كما بعـث مصـعب بـن عمـير وابـن ام مكتـوم إلى أهـل المدينـة قبـل هجرته، يعلمانهم الإسلام، ويقرئـانهم القـرآن، وكـما أرسـل معـاذ بـن جبـل إلى مكة بعد هجرته للتحفيظ والإقراء.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: كان الرجل إذا هاجر دفعه النبـي صـلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن وكان يسمع لمسـجد رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهـم رسـول الله أن يخفضـوا أصـواتهم لئلا يتغالطوا."[181]

البيّنة على من ادّعى خلاف ذلك:

وإذا كان القرآن قد ملك قلوبهم وعقولهم، وسـيط مـن لحـومهم ودمـائهم، فأجدر بهم أن يكونوا أوعية له، ومثـل هـؤلاء القـوم إذا ظُـنّ بهـم، أو قيـل عـنهم إنهم كانوا حفاظـا لكتـاب الله، فهـذا مـن البداهـة بحيـث لا يحتـاج إلى سـند مـن الروايات والآثار.

فلقائل أن يقول، وهو محق فيما يقول:

إن المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان كانوا حفاظا لكتاب الله.

وأمهات المؤمنين كن حافظات لكتاب الله.

والصحابيات كن حافظات لكتاب الله، ولم يتأخر عن كسب هذا الشرـف إلا مـن كان لديه مانع من هرم أو مرض أو عجز.

وهذا القول لا يحتاج إلى أيّ توثيق، ففي حبّهم العـارم الصـارم لكتـاب الله، واعتـزازهم بـه، وعكـوفهم عليـه في لـيلهم ونهـارهم، مـا يغنـي عـن الشـهادة والأشهاد.

[181] الزرقاني– مناهل العرفان في علوم القرآن– جمع القرآن: 135/1

وإنما تجب البينة على من ادّعى خلاف ذلك؛ فعليه أن يأتي بشهيدين أو أكثر في شأن كل صحابي من أصحاب رسول الله حتى يثبت أنه لم يكن حافظا، لأن كلامه يخالف دليل الواقع!

أكبر شهادة هي شهادة الواقع:

ولنضرب لذلك مثلا، لو قال قائل إن أصحاب رسول الله كانوا نماذج عالية للشجاعة والبسالة، وكانوا أمثلة فذّة للصبر والصمود في وجوه العدو، وكانوا يملكون عبقرية خارقة ومهارة فائقة في الحرب والضرب، فهل تُطلب منه على شجاعة كل صحابي وبسالته، وصبره وصموده شهادة؟ لا نظن ذلك.

فإن جاز لنا أن نقول ذلك بشهادة الواقع، لأن الإنجازات الكبيرة التي تمّت على أيديهم من فتح الأقوام، وقلب الدول، وتحطيم الطواغيت، وتدويخ الإمبراطوريات الباذخة الراسخة، والتي تمت بسرعة مذهلة كسرعة العواصف! كل ذلك يغنينا عن أيّ توثيق. والتاريخ لا يعطينا تفاصيل عن مهارات كل صحابي في مجال الحرب والضرب، ولا يقدر عليه.

فإن جاز لنا ذلك القول في أمر الحرب والضرب، جاز لنا أيضا في أمر حفظ القرآن وتعلمه، وجاز لنا أن نقول: إن أصحاب رسول الله كانوا يحفظون القرآن، وعدد هائل منهم كانوا يحفظون كله، ولاسيما المهاجرون السابقون، والأنصار المصلون، الذين كانوا مثالا رائعا لقول القائل:

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا

نقول ذلك، ولا يضرنا شيئا، إن لم نجد لذلك توثيقا من الروايات والآثار.

البديهيات ليست بحاجة إلى توثيق:

التاريخ لا يذكر إلا ما يحتاج إلى ذكر، والبديهيات لا تكون بحاجة إلى ذكر، فحفظ القرآن وتعلم القرآن كان من مستلزمات الإيمان في تلك الأيام، وكل من آمن ودخل في الإسلام كان يرى من واجبه أن يحفظ القرآن ويتعلمه.

وليس من قصدنا بطبيعة الحال أن المسلم الذي مات في مكة قبل الهجرة إلى المدينة، أو المسلم الذي قتل في بدر، أو أحد، أو ما بعدهما من الغزوات والسرايا قبل إكمال نزول القرآن، كان يحفظ القرآن كله، وإنما قصدنا أن الصحابة كانوا يحفظون ما ينزل إليهم من الوحي.

فالذين عاشوا من المهاجرين والأنصار إلى اكتمال الوحي، كانوا حفاظا لكامل القرآن، وهم كانوا آلافا مؤلفة، والذين قتلوا أو ماتوا قبل اكتمال الوحي، كانوا حافظين لما قد نزل في حين حياتهم.

رؤية الإمام النووي:

ولعل هذه الرؤية لاتختلف عن رؤية الإمام النووي، حيث قال:

"اعلم أن القرآن العزيز كان مؤلفا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، على ما هو في المصاحف اليوم، ولكن لم يكن مجموعا في مصحف، بل كان محفوظا في صدور الرجال، فكان طوائف من الصحابة يحفظونه كله، وطوائف يحفظون أبعاضا منه."[182]

فإذا كان من رأي الإمام النووي أن طوائف من الصحابة كانوا يحفظون القرآن كله، فهذا يعني أنه يرى الحفاظ من الصحابة قد بلغ عددهم إلى آلاف

---

[182] النووي- التبيان في آداب حملة القرآن-الباب التاسع في كتابةالقرآن: 161/1

مؤلفة، فإن الطوائف جمع الطائفة، ولفظ الطائفة أطلق في القرآن على الألف، وما دون الألف، ومافوق الألف. ومنه قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ.﴾[183]

فربنا سبحانه وتعالى وعد رسول الله وأصحابه المؤمنيين الغلب والانتصار على أعدائهم الكفار قبل أن يخرجوا إلى بدر، وهم كانوا ألفاً.

ونرى الشيخ الزرقاني أيضا يدندن حول هذا الرأي، إذ قال:

"ومن هنا كان حفاظ القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم جما غفيرا، منهم الأربعة الخلفاء، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله ابن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين.

وحفظ القرآن من الأنصار في حياته صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ومجمع بن حارثة، وأنس بن مالك، وأبو زيد، الذي سئل عنه أنس فقال أنه أحد عمومتي، رضي الله عنهم أجمعين.

وقيل إن بعض هؤلاء إنما أكمل حفظه للقرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[183] سورة الأنفال:8-7

وأيا ما تكن الحال فإن الذين حفظوا القرآن من الصحابة كانوا كثيرين، حتى كان عدد القتلى منهم ببئر معونة ويوم اليمامة أربعين ومائة.

قال القرطبي قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء. وقتل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد."[184]

مقتل القراء على بئر معونة:

ويؤيد ذلك ما رواه الإمام البخاري، والإمام مسلم وغيرهما من أئمة الحديث في أصحاب بئر معونة رضي الله عنهم، فقد روى الإمام مسلم:

حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك قال جاء ناس إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – فقالوا أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالى حرام يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء.

فبعثهم النبى – صلى الله عليه وسلم – إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان. فقالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا – قال – وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه. فقال حرام فزت ورب الكعبة!

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه «إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا».[185]

[184] الزرقاني– مناهل العرفان في علوم القرآن– جمع القرآن: 242/1

فتلك رحلة واحدة إلى بعض قبائل العرب لتعليمهم القرآن والسنة، وكانت تضمّ تلك الرحلة سبعين قارئا، وهؤلاء القراء كانوا حفاظا لكتاب الله، وأُطلق عليهم لفظ (القراء) دون (الحفّاظ) لأنهم جمعوا الحفظ مع العلم والفقه، والحفاظ العلماء الفقهاء كانوا يسمون يومئذ (قرّاء).

والشاهد في الرواية أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل إلى حيّ واحد من أحياء العرب هذا العدد الكبير من القراء، وذلك إن دل على شيء، فإنما يدل على أن مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت عامرة في تلك الأيام بعلماء القرآن وحفاظه.

فإن القراء كثيرا ما كانوا يرسلون إلى البطون والقبائل وأحياء العرب حتى يعلموهم القرآن، ويغرسوا فيهم حب الإسلام، ويزكوهم بآيات الله، ويربوهم تربية إسلامية رائعة، وكانوا يرسلون كلما اقتضى الأمر، من غير تأخير أو تأجيل.

وما أكثر ما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى البطون والقبائل وأحياء العرب من وفود المعلمين والدعاة، حتى يدعوهم إلى ربهم، ويحذّروهم وبال كفرهم وشركهم !

مصاحف في عهد رسول الله!

ومما يدل على تدوين القرآن في حياة رسول الله ما رواه الطبراني، قال:

حدثنا أحمد بن عمرو البزار ثنا هدبة بن خالد ثنا مبارك بن فضالة عن أبي محرز: أن عثمان بن أبي العاص وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من ثقيف فدخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له: احفظ علينا

[185] صحيح مسلم- باب ثبوت الجنة للشهيد : 5026/45/6

متاعنا أو ركابنا فقال: على أنكم إذا خرجتم انتظرتموني حتى أخرج من عند رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال: فدخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألته مصحفا كان عنده فأعطانيه، واستعملني عليهم، وجعلني إمامهم وأنا أصغرهم.[186]

ومثله ما رواه أبونعيم، قال:

"عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبيد بن دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع وعشرين في أناس من ثقيف، فسأله مصحفا فأعطاه، وأمّره على الطائف."[187]

ومثله ما رواه البيهقي، قال:

أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا الفضل بن العلاء حدثنا جعفر بن محمد بن على عن أبيه عن على بن الحسين عن ابن عباس قال: كانت المصاحف لا تباع، كان الرجل يأتى بورقه عند النبى – صلى الله عليه وسلم – فيقوم الرجل، فيحتسب فيكتب، ثم يقوم آخر فيكتب، حتى يفرغ من المصحف.[188]

تلك نصوص واضحة في أن القرآن الكريم كان مجموعا ومرتبا ومدونا بين الدفتين في حياة رسول الله، فإن لفظ المصحف لايطلق إلا على كامل القرآن، المجموع بين الدفتين.

---

[186] المعجم الكبير للطبراني،باب:عثمان بن أبي العاص كان ينزل:8393/61/9

[187] معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني،باب:من اسمه عثمان: 1962/4

[188] السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي– باب ما جاء في كراهية بيع:11390/16/6

معنى المصحف:

قال الليث: وإنما سُمِّي المُصْحَفُ مُصْحَفاً لأنه أُصْحِفَ أي جعل جامعاً للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفَّتَيْن.[189]

وقال ابن منظور:

والمُصْحَفُ والمصْحَفُ: الجامع للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفَّتَيْنِ كأَنه أُصْحِفَ، والكسر والفتح فيه لغة، قال أَبو عبيد: تميم تكسرها وقيس تضمها ولم يذكر من يفتحها ولا أَنها تفتح، إنما ذلك عن اللحياني عن الكسائي، قال الأَزهري: وإنما سمي المصحف مصحفاً لأَنه أُصحِف أَي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين.[190]

وقال الزبيدي: "لأَنَّه في المعنَي مَأْخُوذ من أُصْحِفَ، بالضَّمِّ: أَيْ جُعِلَتْ فيه الصُّحُفُ المكْتُوبةُ بين الدَّفَّتَيْن، و جُمِعَتْ فيه."[191]

نُسَخٌ زايدةٌ للوفود:

وتفيد الرواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتفظ عنده بنُسخ زايدة من المصحف، وإذا جاءته الوفود، كان يجود عليهم بها، فهم كانوا يذهبون بها إلى قومهم، وكانوا يستنسخونها، ثم ينشرونها بين الناس، وهكذا كانت توقد المصابيح من مصباح واحد.

وتفيد الرواية الثالثة، وهي رواية ابن عباس، أن الذين ما كانوا يجيدون الكتابة في عهد رسول الله، كانوا يأتون إلى رسول الله بورقهم، حتى يُكتب لهم المصحف، وكان هناك من أصحاب رسول الله من يحتسبون، ويتعاونون فيما

---

[189] انظر: الأزهري– تهذيب اللغة– صحف

[190] ابن منظور، لسان العرب: صحف

[191] تاج العروس:ص ح ف

بينهم في كتابة المصحف لمثل هؤلاء الناس، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي بهم، ويحثّهم عليه.

رواية أخرى ثالثة:

وقال أبوجعفر الطحاوي:

حدثنا فهد، قال: حدثنا يوسف بن البهلول، قال: حدثنا سليمان بن حيان، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس بن حذيفة، عن جده أوس بن حذيفة، قال: وفدت في وفد ثقيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مالك في قبة له، فكان ينصرف علينا النبي صلى الله عليه وسلم بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين قدميه من طول القيام......، فلما كان ذات ليلة أبطأ علينا عن الوقت الذي كان يأتي فيه، فقلت: أبطأت علينا الليلة فقال:

«إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه» قال أوس بن حذيفة: فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تحزّبون القرآن؟

قالوا: ثلاثا، وخمسا، وسبعا، وتسعا، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده.

قال أبو جعفر: قال أبو خالد وهو سليمان بن حيان، فنظرنا فيه:

فإذا ثلاث سور من أول القرآن: البقرة وآل عمران والنساء.

والخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة.

والسبع: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل.

والتسع: بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياءوالحج والمؤمنون والنوروالفرقان.

والإحدى عشرة: الطواسين والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس.

والثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وحم يعني آل حاميم، وسورة محمد والفتح والحجرات.

وحزب المفصل. قال أبو جعفر ففيما روينا من هذه الآثار تحقيق أمر الحجرات أنها ليست من المفصل وأن المفصل ما بعدها إلى آخر القرآن.[192]

تلك رواية مشهورة رواها أصحاب الجوامع والسنن.

وهي تدل على أن رسول الله وأصحابه قد قسّموا القرآن إلى أحزاب، وكان لكل يوم حزب، أي: قدر معين، أو عدد معين من السور، وهم كانوا يلتزمون به، وكانوا يختمون القرآن عادة في كل أسبوع.

وتلك الأحزاب كانت على نفس الترتيب الذي يوجد في مصاحفنا، وهذا التحزيب، وهذا الترتيب إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن القرآن الكريم كان مجموعا، ومرتبا، ومدونا في عهد رسول الله كمثله في أيامنا، وكانت بيوت الصحابة كلها عامرة به.

رواية أخرى رابعة:

و مما يدل على تدوين القرآن في حياة رسول الله ما رواه أهل الجوامع والسنن:

---

192 مشكل الآثار للطحاوي، باب: إنه طرأ علي حزبي من القرآن:3/386 /1171

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناتِهِ بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته) حسنه ابن ماجه وابن خزيمة. [193]

الشاهد في الحديث أن الحثّ على توريث المصحف لايكون إلا بعد جمع القرآن، وتدوينه، فإن لفظ المصحف لا يطلق إلا على القرآن المجموع بين الدفتين، فإذا حثّ رسول الله على توريث المصحف، فهي حجة واضحة على أن القرآن قد أخذ صورة المصحف، وكان يوجد في حالة تجري الوراثة فيها.

******

[193] صحيح كنوز السنة النبوية:68/1

الباب الثالث

بيان القرآن عن نفسه:

والواقع أن سيدنا أبابكر، وسيدنا عمر رضي الله عنهما ما فعلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن شيئا، فإنهما وجداه مجموعا ومرتبا ومدوّنا، ومحصّنا على أحسن ما يكون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنجز هذا العمل بكل جدّ وحرص، وبكل دقّة وعناية، وما ترك لمن يأتي بعده إلا أن يتعلمه،ويعلّمه، ويبلّغه إلى من لم يبلغه.

وما كان على الشيخين رضي الله عنهما بعد ذلك إلا أن يملأ الآفاق بنُسَخ القرآن الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا، ومدوّنا بين الدفتين فيهم، وقد قاما بتلك المهمة فعلاً، وقاما بها أحسن قيام، حتى امتلأت القرى والمدن بنسخ القرآن، وما بقي بيت من بيوت المسلمين إلا وهو غنيّ عامر بكتاب الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

القول الفصل في الموضوع

وبعد هذه الجولة الشيقة الممتعة في أجواء الصحاح والسنن والجوامع، نرجع إلى القرآن نفسه، حتى نسمع ماذا يقول في شأنه، فإذا هو يلقي القول الفصل في الموضوع، قال تعالى:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.﴾[194]

تفيد تلك الآيات أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان حريصا جدّ حريص على كتاب الله، وكان يشقّ عليه إذا تأخر عنه الوحي، وكان يودّ لو ينزل عليه القرآن كله عاجلا غير رائث، ولعله تقدم بهذه الأمنية الكريمة إلى ربه، فأمره ربه سبحانه وتعالى بالصبر والتريث، ونهاه عن الاستعجال، قال عزّ من قائل:

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.

مفهوم هذا النهي:

أي: لا تطلب أن تؤتى القرآن عاجلا.

فحرّك بالشيء لسانه، معناه: طلب ذلك الشيء، أو نطق به. ومنه قولهم: "لو حرك لسانه بالطلاق ولم يسمع نفسه لم يقع، ولو حرك لسانه بلا إله إلا الله ولم يسمع نفسه أثابه الله تعالى." [195]

[194] سورة القيامة: 16-19

ومنه قولهم:

كلُّ سيفٍ يحُادثُ بالصَّقالْ، دونَ لسانٍ يحدِّثُ بصِدْقِ المقالْ. فلا تحُرِّكْ لسانَكَ بالنُطقْ إلا إذا كان النطقُ بالصِّدْقْ.[196]

وقال الشاعر:

سِرُّكَ إن صنتَهُ بصَمتٍ ... أصلحَ بينَ الأنامِ شانك

فلا تفه لامرىءٍ بسرٍّ ... وتحركْ بهِ لسانك[197]

ومنه قول الآخر:

وأدر لسانك بالصلاة على الذي ... غيث الهدى أبدا به هتان[198]

وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى:

﴿فتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا.﴾[199]

ويشبهه قوله تعالى في موضع آخر:

﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا.﴾[200]

تأويل الآية:

فآيات سورة القيامة واضحة في أن الله سبحانه وتعالى أخذ على نفسه، أن يتولى جمع القرآن، وقراءته، وتبيينه كلما احتاج إلى بيان. وأمر النبي أن يتبع قرآنه، إذا قرأه.

---

[195] الصفوري- نزهة المجالس ومنتخب النفائس- فصل في الذكر:22/1

[196] المقامات للزمخشري – مقامة الصدق: 214/1

[197] ديوان صفي الدين الحلي: 1184/1

[198] ديوان عبدالغني النابلسي: 1582/1

[199] سورة طه:114

[200] سورة الإسراء:106

وهذا يعني أن القرآن يجُمع حسب أمر الله وإرشاده، كما يعني أنه يجُمع في حياة النبي عليه السلام، حتى يقرأه كما يرشده؛ فإنه كان مأمورا باتباع قراءته.

و مما يجدر بالانتباه أن الله سبحانه وتعالى قرن " جمع القرآن" ب"قرآن القرآن"، حيث قال:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، فما معنى "قرآن القرآن" في هذا السياق؟

معنى قرآن القرآن:

" قال أَبو إِسحق النحوي: يُسمى كلام الله تعالى الذي أَنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتاباً وقُرْآناً وفُرْقاناً ومعنى القُرآن: معنى الجمع، وسمي قُرْآناً لأَنه يجمع السُّوَر فيَضُمُّها، وقوله تعالى: (إِنَّ علينا جَمْعه وقُرآنه) أَي جَمْعَه وقِراءَته فَإِذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أَي قِراءَتَهُ.

وقَرَأْتُ الشيءَ قُرْآناً: جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إِلى بعض، ومنه قولهم: ما قَرأَتْ هذه الناقةُ سَلىً قَطُّ، وما قَرَأَتْ جَنِيناً قطُّ، أَي: لم يَضْطَمّ رَحِمُها على ولد. وأَنشد: (هِجانُ اللَّوْنِ لم تَقْرَأْ جَنِينا) وقال: قال أَكثر الناس معناه: لم تَجْمع جَنيناً أَي لم يَضطَمّ رَحِمُها على الجنين.[201]

وقال ابنُ الأَثير: تَكرَّر في الحَديث ذِكْرُ القِرَاءَةِ والاقْتِرَاءِ والقَارِيءِ والقُرآنِ، والأَصلُ في هذه اللفظةِ الجَمْعُ ، وكُلُّ شيءٍ جَمعْتَه فقد قَرَأْتَه ، وسُمِّيَ القُرآنَ لأَنه جمَعَ القِصَصَ والأَمْرَ والنَّهْيَ والوَعْدَ والوَعِيدَ والآيَاتِ والسُّوَرَ بَعْضَهَا إِلى بعْضٍ ، وهو مَصْدَرٌ كالغُفْرانِ.[202]

---

[201] ابن منظور، لسان العرب: قرأ

[202] تاج العروس للزبيدي: قرأ

نقول: ماقاله أبوإسحاق النحوي، وابن الأثير كلام وجيه، فقد سمي القرآن قرآنا لأنه جمع موضوعات متنوعة من أمر ونهي ووعد ووعيد وما إليه، و جمع الآيات والسور بعضها إلى بعض، ولكن حينما قيل: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)، أي: جمع القرآن وقرآن القرآن، فما معنى: قرآن القرآن؟

الأرجح في معناه، كما يبدو من سياقه: إن علينا جمعه، وترتيبه، وضم بعضه إلى بعض. فربنا سبحانه وتعالى لم يتكفل بجمع القرآن فقط، بل تكفل بجمعه، وترتيبه، وتدوينه بين الدفتين، وذلك في حياة رسوله عليه الصلاة والسلام، حتى يتسنى له اتباع ذلك الترتيب، كما أمر به.

كلمة وجيهة للفراهي:

قال الفراهي في ضمن حديثه عن تلك الآيات:

"اعلم أن الله تعالى وعد بحفظ القرآن مرارا، إجمالا وتفصيلا، فقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.﴾

أي: إنه مصون عن الزيادة.وقال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُونَ.﴾

وهذا قول في غاية الصراحة بنفي النقصان والتغير، مع الدلالة على نفي الزيادة أيضا؛ فإن كل واحد من هذه الثلاث يخالف حفظ كلام الله، وهذا أمر ظاهر.

ويزيد رحمه الله فيقول:

"فلايخفى عليك أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.﴾ يحتوي ثلاثة أمور:

الأول: أن القرآن يجمع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويقرأ عليه بنسق واحد، فإنه لو أنجز هذا الوعد بعد عهده عليه السلام لم يأمره باتباعه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ.﴾

والثاني: أن النبي عليه الصلاة والسلام مأمور بالقراءة حسب هذه القراءة الثانية التي تكون بعد الجمع، وليس للنبي عليه السلام أن يلقى عليه شيء من الوحي، ولايبلغه الأمة، حيث أمره الله تعالى، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ.﴾ (سورة المائدة: 67)

وقوله تعالى: (مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) عام، فكل ما أنزل إلى الرسول عليه السلام من أمر الرسالة، لابد أن يبلغه الأمة، ونظم القرآن وترتيبه منه، فكيف يترك تبليغه، وهو مما أنزل إليه؟ فلاشك في أن النبي عليه السلام علّم الأمة قراءة السور بنسق آياتها.

والثالث: أن بعد هذا الجمع والترتيب بين الله ما شاء بيانه، من التعميم، والتخصيص، والتكميل، والتخفيف.

وقد علمنا وقوع هذه الأمور الثلاث، فإن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقرأ عليهم سورة القرآن كاملة، و هذا لايكون إلا بعد أن قرئ عليه بنسق خاص، فأخذوها منه، وكان يأمرهم بوضع الآيات في محلها، ثم بعد ذلك إذا أنزلت عليه آيات مبيّنة، ضمّها إلى أخواتها من سور القرآن.

فترى هذه المبينات ربما وضعت بجنب ما تبينه، وأحيانا في آخر السورة، إن كانت متعلقة بعمودها، وتمّ ذلك كله بتعليم من جبريل عليه السلام. وترى في أكثر هذه الآيات تصريحا بأنها بيان من الله تعالى، كقوله عزّ من قائل:

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ.﴾ (سورة البقرة: 187)

ثم عرض عليه جبريل الأمين عرضة أخيرة، بعد تمام القرآن، كماجاء في الخبر الصحيح المتفق عليه، فجاءه القرآن بتمامه، مرتّب السور، فكانت مواقع السور فيه، مثل مواقع الآيات مما ألقي عليه، وعلّم الأمة، كما تلقى من الروح الأمين.[203]

تأويل عن ابن عباس:

قد يقال: هناك رواية جاءت عن سيدنا عبد الله بن عباس، في تأويل تلك الآيات، والتأويل الذي ذهب إليه سيدنا ابن عباس هو التأويل المفضل عند جماعة المفسرين، وهو يختلف تماما عن التأويل الذي ذهبت إليه، فكيف يصح الاحتجاج بتلك الآيات على جمع القرآن وتدوينه بين الدفتين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والرواية التي جاءت عن سيدنا ابن عباس كما يلي:

حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا موسى بن أبي عائشة، قال: حدثنا سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: {لا تحرك به لسانك لتعجل به} قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه.

[203] تفسير نظام القرآن لعبد الحميد الفراهي، تفسير سورة القيامة: 231-233

فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه.

فأنزل الله تعالى: {لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه} قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه} قال: فاستمع له وأنصت: {ثم إن علينا بيانه} ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه.[204]

ما في الرواية من علل وضعف:

نقول: روى الإمام البخاري تلك الرواية في مواضع من صحيحه غير هذا الموضع، فقال:

حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا موسى بن أبي عائشة، وكان ثقة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.[205]

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.[206]

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.[207]

---

[204] صحيح البخاري- كتاب بدء الوحي: 5/5/1

[205] فتح الباري- 867/8

[206] نفس المصدر- 869/8

[207] نفس المصدر- 111/9

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.[208]

فمرة روى تلك الرواية عن طريق أبي عوانة، عن موسى بن أبي عائشة.

وأخرى رواها عن طريق سفيان، عن موسى بن أبي عائشة.

وثالثة رواها عن طريق جرير، عن موسى بن أبي عائشة.

والإمام مسلم أيضا روى نفس الرواية في صحيحه، فقال:

حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم كلهم عن جرير – قال أبو بكر حدثنا جرير بن عبد الحميد – عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله عز وجل (لا تحرك به لسانك).[209]

وقال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.[210]

فمرة روى تلك الرواية عن طريق جرير، عن موسى بن أبي عائشة.

وأخرى رواها عن طريق أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة.

ونلاحظ في تلك الروايات عدة أمور:

الأمر الأول:

أنها تدور على موسى بن أبي عائشة، حيث روى عنه أبوعوانة، وروى عنه سفيان بن عيينة، وروى عنه جرير بن عبد الحميد، وهو الذي يروي عن سعيد بن جبير، وهو عن عبدالله بن عباس.

---

[208] نفس المصدر - 611/13

[209] صحيح مسلم- 1032 /34/2

[210] نفس المصدر- 1033/35/2

الأمر الثاني:

موسى بن أبي عائشة لا يروي تلك الرواية إلا عن سعيد بن جبير، دون سائر تلاميذ ابن عباس. ولا يروي عن سعيد بن جبير إلا موسى. فما رتبة موسى بن أبي عائشة عند علماء الجرح والتعديل؟

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم: سمعت أبى يقول: تريبنى رواية موسى بن أبى عائشة حديث عبيد الله بن عبد الله فى مرض النبى صلى الله عليه وسلم. قلت: ما تقول فيه؟ قال: صالح الحديث. قلت: يحتجّ بحديثه؟ قال: يكتب حديثه.[211]

وقال الذهبي:

أبو إسحاق شيخ حجازى. روى عن موسى بن أبى عائشة مناكير.

قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما روى.[212]

الأمر الثالث:

لا يروي سعيد بن جبير هذا الكلام عن عبد الله بن عباس إلا عنعنة، ولا يقول: أخبرنا، أو حدثنا، أو سمعت منه، وإنما يقول في جميع طرقه: (عن ابن عباس)، وهذا يفيد أنه لم يسمع الرواية من ابن عباس شفاها، وإنما نُقِل إليه الكلام نقلا، و الناقل غير معلوم. وإذاً فالسند فيه انقطاع، وإن كان يوهم بظاهره أنه متصل.

الأمر الرابع:

وهناك أمر مهمّ جدا، ولا بد أن تكون لنا عنده وقفة تأمل، وهو أن الآيات التي تتصل بها الروايات هي آيات مكية، نزلت في فجر العهد المكي، وسيدنا

---

211 تهذيب الكمال: 6866/266/7

212 ميزان الاعتدال:488/4

ابن عباس لم يكن موجودا في وقت نزولها، حيث كان مولده قبل عام الهجرة بثلاث سنين.[213]

فهل يمكن أن يحاكي ابن عباس ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام قبل مولده بسنين، من غير أن يراه؟ اللهم لا، إلا إذا كان قد رأى أحدا من السابقين الأولين الموجودين في ذلك الوقت يحاكيه، وإن رأى أحدا يحاكيه، فلا بد أن يذكر اسمه توثيقا لكلامه.

الأمر الخامس:

هنا أمر آخر عزب عن الرواة، وهو أن محاكاة النبي عليه الصلاة والسلام في فعل، قد نُهي عنه على لسان الوحي، ليس من حسن الأدب مع رسول الله، وليس من العلم ولا من الدين في شيء! وما كان أحد من صحابة رسول الله ليفعل ذلك، سواء كان من السابقين الأولين، أو كان من اللاحقين المتأخرين.

لا تفسر الآيات بمثل تلك الروايات:

ولم يحسن الناس صنعا حينما فتحوا صدورهم لتلك الروايات مع ما يكتنفها من ضعف و علل، ثم جعلوها تفسيرا لتلك الآيات، فيقول -مثلا – الإمام الزمخشري في تأويل تلك الآيات:

"الضمير في بِهِ للقرآن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمه، مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضى إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه.

[213] الذهبي- سير أعلام النبلاء:51/330/5

والمعنى: لا تحرّك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ لِتَعْجَلَ بِهِ لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك. ثم علل النهى عن العجلة بقوله إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ في صدرك وإثبات قراءته في لسانك فَإِذا قَرَأْناهُ.

جعل قراءة جبريل قراءته: والقرآن: القراءة، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ.

فكن مقفيا له فيه ولا تراسله، وطأ من نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ إذا أشكل عليك شيء من معانيه، كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا، كما ترى بعض الحراص على العلم، ونحوه وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ.

كَلَّا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وإنكار لها عليه، وحث على الأناة والتؤدة، وقد بالغ في ذلك، بإتباعه قوله بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ كأنه قال: بل أنتم يا بنى آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ، ومن ثم تحبون العاجلة وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ وقرئ بالياء وهو أبلغ. فإن قلت: كيف اتصل قوله لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ إلى آخره، بذكر القيامة؟

قلت: اتصاله به من جهة هذا للتخلص منه ، إلى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة.[214]

هذا ما قاله الزمخشري في تأويل تلك الآيات، وبمثل قوله قال آخرون. والتأويل فيه نظر من عدة وجوه:

الوجه الأول:

حينما كان يأتي سيدنا جبريل عليه السلام إلى نبينا عليه السلام بوحي القرآن ماكان يلقنه تلقينا، وإنما كان ينزله على قلبه، حيث قال تعالى:

---

[214] الزمخشري- تفسير الكشاف: 4/648- 649

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ الله مُصَدِّقًا لمِا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ.﴾[215]

وقال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.﴾[216]

فالوحي إذا أنزل على القلب لا يكون فيه تلقين. والقرآن كله أنزل على قلب رسول الله، ولم ترد رواية صحيحة بأن أيّ سورة، أو أيّ آية نزلت على وجه التلقين.

الوجه الثاني:

لم يرد في الصحيح أن نبينا عليه الصلاة والسلام بعد ما يُقضى إليه الوحي كان يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه، وإنما كان ينجلي عنه الوحي، وقد رسخ في قلبه ما أوحي إليه، فلنستمع إلى أم المؤمنين عائشة، وهي تحكي حالة النبي صلى الله عليه وسلم في وقت نزول الوحي:

"قالت فو الله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك."[217]

---

[215] سورة البقرة:97

[216] سورة الشعراء:192-195

[217] صحيح البخاري- كتاب بدء الوحي :4750/304/3

هكذا كان يأتيه عليه الصلاة والسلام الوحي دائما،حيث كان ينزل على قلبه الكريم، ثم إذا سُرّي عنه، سُري وقد نُقش الوحي في قلبه كالنقش في الحجر، فما علمنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يجلس مع الآيات حتى يحفظها، وما علمنا أنه عليه السلام نسي آية قطّ في أثناء قراءته في الصلاة أو في غير الصلاة.

وأما ما روي عن أم المؤمنين عائشة: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ آية فقال رحمه الله لقد ذكرني آية كنت أنسيتها.[218]

فتلك رواية جاءت عن طريق وكيع عن هشام عن أبيه عن عائشة، ووكيع قال عنه مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَسْعُوْدٍ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بنَ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: أَخْطَأَ وَكِيْعٌ فِي خَمْسِ مائَةِ حَدِيْثٍ.[219]

ولانستبعد أن تكون تلك الرواية أيضا من تلك التي أخطأ فيها وكيع.

وروى البخاري ايضا هذا الحديث، فقال:

حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون، أخبرنا عيسى بن يونس عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في المسجد فقال رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا.[220]

وهذه الرواية أيضا لاتخلو من احتمال الخطأ، حيث جاءت عن طريق محمد بن عبيد بن ميمون، وذكره ابن حبان، وقال: ربما أخطأ.[221]

---

218 مسند أحمد- حديث السيدة عائشة: 25583/138/6

219 سير أعلام النبلاء:154/9

220 صحيح البخاري- كتاب بدء الوحي: 210/2/ 2655

221 الثقات لابن حبان: رقم التذكرة: 15304

وقال ابن حجر في التقريب: صدوق يخطئ.[222]

والغموض الشديد الذي يوجد في تلك الرواية أيضا يوحي بقلة الضبط من الراوي، حيث يقول (أذكرني كذا وكذا آية!) (من سورة كذا وكذا!) فالنبي عليه السلام ماكان كلامه بهذا الغموض!

ثم الرواية كلها جاءت عنعنةً، والعنعنة فيها من الاحتمالات ما لا يخفى! وفي الرواية علل أخرى نغضي عنها، فليس هذا موضع تفصيلها.

والنبي عليه الصلاة والسلام لا يُستبعد منه النسيان، حيث كان من البشر، وكان يطرأ عليه النسيان مثل ما يطرأ على البشر، ولكنه كان بعيدا من نسيان القرآن، حيث أنزل القرآن على قلبه الكريم، فنُقِش فيه كالنقش في الحجر.

الوجه الثالث:

النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يسأل سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام عن معاني الآيات، ولم يرد في الصحيح أنه عليه السلام سأله عن معاني الآيات في أيّ موطن من المواطن، فالقرآن كتاب مبين، جاء بلسان عربي مبين، والرسول أفصح العرب، وليس بحاجة إلى من يبين له معاني الآيات.

الوجه الرابع:

لفظ (الجمع) إذا جاء مطلقا لا يراد به جمع الشيء في الصدر، والعرب الأقحاح لم يستعملوا قط هذا اللفظ بهذا المعنى، والذين ذهبوا إلى هذا المعنى، لم يذهبوا إليه إلا بسبب الروايات التي تحدثنا عنها، وذكرنا ما فيها من علل.

---

[222] تهذيب الكمال للمزّي – في الهامش-:6038/427/6

الوجه الخامس:

هناك فرق كبير بين حب العاجلة وبين أن يعجل الرسول عليه الصلاة والسلام بالقرآن، والعجل بالقرآن لم يكن إلامن حب الله، والحرص الشديد على إعلاء كلمة الله.

وليس في الآية ردع لرسول الله عن عادة العجلة، وإنما هو ردع للكفار على استكبارهم عن كتاب الله، وما أحسن المقابلة بين الحرص الشديد على كتاب الله، وبين الاستكبار البغيض عنه!

ما ذا فعل الشيخان في أمر القرآن؟

وإذاً، فالحكاية التي جاءت بها الروايات، عن جمع القرآن وتدوينه في عهد سيدنا أبي بكر، باقتراح من سيدنا عمر بن الخطاب، وذلك على يد سيدنا زيد بن ثابت، تلك حكاية مصنوعة من أولها إلى آخرها، والأمة الإسلامية لم تجن من تلك الحكاية المزوّرة إلا أُكُلاً خمطاً، وثماراً مُرّةً عبر تاريخها الطويل!

فهي التي جعلت القرآن تحوم حوله الشبهات، وأدّت الأمة الإسلامية إلى فرقة وشتات، وحوّلتهم إلى فرق وأحزاب يكيد بعضها لبعض!

والواقع أن سيدنا أبابكر، وسيدنا عمر رضي الله عنهما ما فعلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن شيئا، فإنهما وجداه مجموعا ومرتبا ومدوّنا، و محصّنا على أحسن ما يكون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنجز هذا العمل بكل جدّ وحرص، وبكل دقّة وعناية، وما ترك لمن يأتي بعده إلا أن يتعلمه، ويعلّمه، ويبلّغه إلى من لم يبلغه.

وما كان على الشيخين رضي الله عنهما بعد ذلك إلا أن يملآ الآفاق بنُسَخ القرآن الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا، ومدوّنا بين الدفتين فيهم.

وقد قاما بتلك المهمة فعلاً، وقاما بها أحسن قيام، حتى امتلأت القرى والمدن بنسخ القرآن، وما بقي بيت من بيوت المسلمين إلا وهو غنيّ عامر به.

وما بقيت قرية من قراهم إلا وأقاما فيها مراكز ومدارس يحفّظ فيها القرآن ويعلّم، حتى كان القرآن هو الذي يُسمع دويّه، وتُشمّ رائحته، ويُؤنس إشراقه، وبريقه في قرى المسلمين قاطبة.

كلمة وجيهة موفّقة لابن حزم:

قال الإمام ابن حزم، وكان صادقا، وموفّقا فيما قال:

"مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإسلام قد انتشر وظهر في جميع جزيرة العرب، من منقطع البحر المعروف ببحر القلزم، مارا إلى سواحل اليمن كلها، إلى بحر فارس إلى منقطعه، مارا إلى الفرات، ثم على ضفة الفرات إلى منقطع الشام، إلى بحر القلزم، وفي هذه الجزيرة من المدن والقرى ما لا يعرف عدده إلا الله عز و جل كاليمن، والبحرين، وعمان، ونجد، وجبلي طي، وبلاد مضر، وربيعة، وقضاعة، والطائف، ومكة.

كلهم قد أسلم وبنوا المساجد، ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب، إلا وقد قرئ فيها القرآن في الصلوات، وعلمه الصبيان والرجال والنساء، وكتب، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون كذلك، ليس بينهم اختلاف في شيء أصلا، بل كلهم أمة واحدة، ودين واحد، ومقالة واحدة.

ثـم ولى أبـو بكـر سـنتين وسـتة أشـهر، فغـزا فـارس والـروم، وفـتح اليمامـة، وزادت قـراءة النـاس للقـرآن، وجمـع النـاس المصـاحف، كـأبي عمـر وعـثمان وعلي وزيد وأبي زيد وابن مسعود وسائر الناس في البلاد.

فلم يبـق بلـد إلا وفيـه المصـاحف ثـم مـات رضي الله عنـه والمسـلمون كـما كانوا، لا اختلاف بينهم في شيء اصلا، أمة واحدة، ومقالة واحدة .....

ثم مات أبو بكر، وولى عمر، ففتحت بلاد الفـرس طـولا وعرضـا، وفتحـت الشام كلها، والجزيرة، ومصر كلها، ولم يبق إلا وبنيت فيه المسـاجد، ونسـخت فيه المصاحف، وقرأ الأئمة القرآن، وعلمه الصـبيان في المكاتـب شرقـا وغربـا، وبقي كذلك عشرة أعوام وأشهرا، والمؤمنون كلهـم لا اخـتلاف بيـنهم في شيء، بل ملة واحدة، ومقالة واحدة.

وإن لم يكن عند المسلمين إذ مات عمر، أكثـر مـن مائـة ألـف مصـحف مـن مصر إلى العراق إلى الشام إلى اليمن فما بين ذلك، فلم يكن أقلّ.

ثم ولى عثمان فزادت الفتوح واتسع الأمـر فلـو رام أحـد إحصـاء مصـاحف أهل الإسلام ما قدر، وبقي كذلك اثنـى عشر عامـا، حتـى مـات وبموتـه حصـل الاختلاف."[223]

نوعيّة ما فعله عثمان لصيانة القرآن:

فسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يفعـل في شـأن القـرآن غـير مـا فعلـه الشيخان، من تعليمه ونشره وإقامة مراكزه ومعاهده في بلاد دخل فيها الإسـلام، ولـم يبتدع في القرآن شيئا، ولـم ينسخ منه حرفا.

[223] ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل :1/332-334

والخلافات التي نجمت قرونها بين المسلمين، والتي وردت بها الروايات، لا تتصل بقراءات الصحابة وتلاميذ الصحابة، وإنما كانت ترجع تلك الخلافات كلها إلى أعداء الإسلام، حيث كانوا يتلاعبون بالقرآن، وكانوا يريدون أن يدسّوا فيه ما ليس منه.

كانت منهم فئات يسمّون "ورّاقين"، وهؤلاء الورّاقون قد امتهنوا كتابة المصاحف، كانوا يكتبون المصاحف بأيديهم، ويتأنّقون فيها، ثم يأتون بها إلى الأسواق، ويبيعونها للناس.

روى ابن سعد: قال: أخبرنا محمد بن حميد العبدي، عن حنظلة، قال: كنت أمشي مع طاوس، فمر بقوم يبيعون المصاحف، فاسترجع.[224]

فلم يتخذ هؤلاء القوم مهنة كتابة المصاحف حبا لكتاب الله، ولا كسبا للمعاش، وإنما اتخذوها لما تغلي به صدورهم من البغض الشديد ضد القرآن، وضد الإسلام والمسلمين!

دور الورّاقين في إيجاد الأزمة!

وكانت لهم أساليب ماكرة في كتابة المصاحف، فربما جاءوا بقرآن فيه نقص وزيادة، حيث حذفوا منه – مثلا- المعوذتين وسورة الفاتحة، وقالوا هذا مصحف عبد الله بن مسعود، لم تكن فيه المعوذتان ولا سورة الفاتحة!

وجاؤوا بمصحف آخر، وقالوا هذا مصحف أبيّ بن كعب، فيه المعوذتان وسورة الفاتحة!

وجاؤوا بمصحف فيه تحريف وتبديل، ففي بعضها – مثلا-:

---

[224] ابن سعد- الطبقات الكبرى: 68/6

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ)

وفي بعضها الآخر: (فامضوا إلى ذكر الله)

وقالوا: كان ابن مسعود يقرؤها «فامضوا» ويقول : لو قرأتها «فاسعَوْا» لسعَيت حتى يسقط ردائي![225]

وجاءوا بمصحف فيه: (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ)

وجاءوا بمصحف آخر فيه: (وله أخ او أخت من أمّه) وقالوا:

قرأ سعد بن أبي وقاص: "وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمّه"[226]

وجاءوا بمصحف فيه: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ ﴿238﴾[227]

وجاءوا بمصحف آخر فيه: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاةالعصر وقوموا لله قانتين.

ورووا عن أمهات المؤمنين السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهما أنهما أملتا: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر" بالواو.[228]

وجاؤوا بمصحف فيه: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ.

---

225 زاد المسيرفي علم التفسير– سورة الجمعة

226 تفسير الطبري–سورةالنساء: 629/3

227 البقرة:238

228 تفسير القرطبي–سورة البقرة: 140/2

وجاؤوا بمصحف آخر فيه: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغفور الرحيم.

وقالوا: قرأ ابن مسعود: {فَإِنَّكَ أَنتَ الغفور الرحيم} وقرأ غيره: {العزيز الحكيم}[229]

وجاؤوا بمصحف فيه: أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا.[230]

وجاؤوا بمصحف آخر فيه: أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ (صحيحة) غَصْبًا.

وقالوا: في قراءة أُبيٍّ بن كعب وابن عباس: «كلَّ سفينة صحيحة»[231]

وجاؤوا بمصحف فيه: وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا.

وجاءوا بمصحف آخر فيه: وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ (كافرا وكان)أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) وقالوا: تلك قراءة كان يقرؤها أبيّ بن كعب وابن عباس.[232]

وجاؤوا بمصاحف فيها تقديم وتأخير، فمصحف فيه سورة آل عمران بعد سورة البقرة، وسورة النساء بعد سورة آل عمران.

ومصحف آخر فيه سورة النساء بعد سورة البقرة، وسورة آل عمران بعد سورة النساء، وقالوا: هذا مصحف عبد الله بن مسعود! [233]

---

[229] السمرقندي- بحرالعلوم- سورة المائدة

[230] سورة الكهف:79

[231] ابن الجوزي-زاد المسير في علم التفسير، والبغوي- معالم التنزيل:سورة الكهف، 194/5

[232] ابن عطية- المحرر الوجيز، 648/5، وابن الجوزي- زاد المسير: سورة الكهف

فهم جاؤوا بتلك المصاحف، وملؤوا بها الأسواق، وفعلوا كلّما فعلوا باسم كبار الصحابة، وباسم أمهات المؤمنين، ونسبوا إليهم - كذباً وزوراً - مالم يقولوا، وما لم يتخيلوا!!

وما أرادوا بذلك إلا أن يلبسوا على المسلمين دينهم، و يجعلوا القرآن موضع خلاف وخصام بينهم، فإنهم ما كانوا يحبون أن يبقى لهم قرآنهم محفوظا محصّنا، وقد ضيّعوا قبل ذلك ما جاءت به رسلهم من التوراة والإنجيل!

بالإضافة إلى ماكانت تغلي به صدورهم من العداوة والبغضاء ضدّ المسلمين الذين فتحوا بلادهم، وأزالوا سلطانهم.

خطّة رهيبة مدمرة!

وهم كانوا يدركون جيدا أن سرّ قوة المسلمين وشوكتهم هو قرآنهم. فإن استطاعوا أن يفسدوا عليهم قرآنهم بالتبديل والتحريف، واستطاعوا أن يشغلوا بعضهم ببعض في شأن القرآن، عاد إليهم ما ذهب منهم من ملكهم وسلطانهم.

كانت تلك خطتهم، وكانت خطة رهيبة مدمرة !

وهكذا انتشر في أسواق المسلمين وبيوتهم قرآنان، قرآن منزل من عند الله، وموافق لما في اللوح المحفوظ، وقرآن فيه تحريف وتصحيف، وتبديل وتضليل!

وربما كانت نسخة من القرآن الذي جاء به محمد بن عبدالله، في مقابل نسخ كثيرة للقرآن المحرّف، أو المفترى!

---

[233] الزركشي– البرهان في علوم القرآن–النوع الرابع عشر: 262/1

والجوكان صالحا وملائما لمثل هذه الفتنة، حيث دخلت في الإسلام أفواج وأفواج من العجم، يتلو بعضهم بعضا، وهم كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وما ذاقوا من الإسلام عَلُوساً ولا لَؤُوساً، وما عرفوا من القرآن جيماً ولا ميماً.

فما كانوا قادرين على أن يفرقوا بين الغث والسمين، وما كانوا يملكون أن يدركوا ما هو الخالص النقيّ، وما هو المشوب المغشوش!

قُمعت الفتنة في مهدها!

وهكذا دُبّرت للمسلمين فتنة عمياء صماء، وأُحكم نسجها وهم في غفلة عنها، فما راعهم إلا أن استشرى داؤها، وتفاقم أمرها، وأفزع الصحابة شرها، وأقلق خليفة المسلمين خطرها.

فكان أن أرسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان بمشورة من جلّة صحابة رسول الله، إلى كل إقليم من أقاليم الإسلام نسخة من القرآن مختومة بختم الخلافة، والقرآن هو القرآن الذي ورثه المسلمون من نبيهم، والذي كان عند سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر، وكان عند سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

أرسل عثمان هذا القرآن مختوما بختم الخلافة إلى كل عاصمة من عواصم الإسلام، حتى يكون هو الحكم الفاصل، والمرجع المعتمد في موطن الخلاف!

والمصاحف التي تباع في الأسواق كلها تعرض على ذلك المصحف الإمام، فما وافقه أقرّ وأجيز، وما خالفه سُحب من السوق وأُحرق.

فلم يكن من المسلمين الصادقين إلا أن استجابوا لأمر إمامهم الراشد استجابة حارة، ونفّذوا تلك الخطة الراشدة بكل جدّ ونشاط ومهارة، وغربلوا أسواقهم العامة والخاصة غربلة كاملة، ونقّوها مما فيها من الغش والخديعة.

وكان ذلك توفيقا من الله سبحانه وتعالى، حيث واجه الخليفة الراشد وأصحابه الراشدون تلك الفتنة العمياء بحكمة ولباقة، وعالجوها علاجا سريعا حاسما، وقمعوها في مهدها، فجزاهم الله عن القرآن، وعن أمة القرآن خير الجزاء وأوفاه.

بقيت لها بقايا، فلنحذرها!

والعجيب في الأمر أن تلك الفتنة، وإن قُتلت في مهدها، وأُحرقت تلك المصاحف المغشوشة عن آخرها، إلا أنه بقيت لها بقايا في كتب التفسير وفي كتب الحديث، فهي تنقل قراءات ليس لها أصل، والناس يخضعون لها، وإن كانوا لا يقتنعون بها، ولا يستريحون إليها.

وهي تفسد معاني الآيات، وتُذهب بهاءها، وسناءها، ورونقها، وتفسد كثيرا من مفاهيم الدين!

وتُنسب تلك القراءات إلى كبار الصحابة، والصحابة منها براء!

فالأعداء حينما فشلوا في تحريف القرآن في بطون المصاحف، لم ييئسوا ولم يفتروا عن عملهم، بل دسّوا تلك البوائق في كتب التراث، فكانت لها آثارها السيئة المشئومة!

والنماذج التي ذكرناها، تملؤ كتب التفسير وكتب الحديث، وكلها من هذا النوع، وهي واضحة ساطعة لمن تدبرها واستلهمها، وهي التي تعطينا فكرة واضحة وصورة دقيقة لما فعله الأعداء (الوراقون) في عهد الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث شبّهوا القرآن على المسلمين، وجعلوهم منه، وكأنهم في ليلة كفر النجوم غمامها!

ولـولا تلـك الخطـوة المباركـة الموفقـة مـن الخليفـة الراشـد، وأصـحابه الأذكياء الأتقياء رضي الله عنهم أجمعين، لعملت الفتنة عملها، واسـتطار شرّهـا، ولكن الله سلّم.

ولقـد سـبق منـا بيـان وتفصـيل لكثـير مـن تلـك الـنماذج، والأمـور تقـاس بأشباهها ونظائرها، والله ولي التوفيق.

******

الباب الرابع

نقط الحروف وشكل الآيات

إن قلنا: نزل القرآن والعرب لا يعرفون نقط الحروف وشكل الكلمات، فهذا يعني أن اللغة العربية، التي اختارها الله لأن تكون لغة رسالته الخالدة العالمية، اختارها ولما تبلغ أشدّها، ولما تقارب نضجها، بل كانت في إبّان نشأتها، وكانت تحبو على إستها، أوكانت تزحف على الأرض؛ فإن حروف الهجاء في لغة العرب ثمانية وعشرون، أو تسعة وعشرون، على اختلاف فيها.

ونصف من تلك الحروف منقوط، ونصف منها غير منقوط، فإن قيل إن العرب في زمن نزول القرآن ما كانوا يعرفون النقط، فهذا يعني أنهم ما كانوا يعرفون الحروف المنقوطة، وإنما كانوا يعرفون الحروف الغير منقوطة. وبلفظ آخر: هم ما كانوا يعرفون إلا نصف اللغة، والنصف الباقي كان ينتظر من يكتشفه!

ومما لاشك فيه أن الذين وضعوا لسان العرب وأسسوه كانوا أقدر على وضع النقط من غيرهم، كانوا أقدر من كل من ذكرت أسماؤهم بهذا الصدد، سواء كان أبو الأسود الدؤلي، أو كان نصر بن عاصم الليثي، أوكان يحيى بن يعمر العدواني، أو كان أيّ واحد غيرهم!

والذين وضعوا الحروف الغير منقوطة ما كانوا عاجزين عن وضع الحروف المنقوطة؟

والقول في أمر الشكل لا يختلف عن القول في شأن النقط، فالحركات من فتحة، وكسرة، وضمّة، وتشديد جزء من لسان العرب، كما أن النقط جزء منه، والذين وضعوا اللسان كانوا أقدرعلى إدراك احتياجات اللسان، وكانوا أقدر على وضع الحركات، ووضع النُقَط من غيرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

أول من نقط المصحف:

وقبل أن نقفل هذا الموضوع، لا بد من التنبيه إلى خطأ جسيم شاع وانتشر في الناس، واستولى على الأذهان بشكل رهيب!

لا بد من التنبيه إليه؛ فإنه خطأ جسيم،أدى إلى أخطاء جسام، ونال من عظمة كلام الله وروعة آياته بشكل فظيع!

ومن الأمثال السائرة: (معظم النار من مستصغر الشرر)

وقد قيل قديما:

(إن الأمور دقيقها ... مما يهيج له العظيم)

قال الإمام بدرالدين الزركشي:

أسند الزبيدي في كتاب الطبقات عن المبرد: أول من نقط المصحف أبوالأسود الدؤلي وذكر أيضا أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر وذكر أبو الفرج: أن زياد بن أبى سفيان أمر أبا الأسود أن ينقط المصاحف وذكر الجاحظ في كتاب الأمصار أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف وكان يقال له نصر الحروف.[234]

وقال الإمام السيوطي:

اختلف في نقط المصحف وشكله وقال أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلي بأمر عبد الملك بن مروان وقيل الحسن البصري ويحيى بن يعمر وقيل نصر بن عاصم الليثي.[235]

---

[234] البرهان في علوم القرآن– النوع الرابع عشر: 1/250-251

[235] السيوطي الإتقان في علوم القرآن: 2/ 218

وقال الزرقاني:

"والمعروف أن المصحف العثماني لم يكن منقوطا وذلك للمعنى الذي أسلفناه وهو بقاء الكلمة محتملة لأن تقرأ بكل ما يمكن من وجوه القراءات فيها. بيد أن المؤرخين يختلفون فمنهم من يرى أن الإعجام كان معروفا قبل الإسلام ولكن تركوه عمدا في المصاحف للمعنى السابق. ومنهم من يرى أن النقط لم يعرف إلا من بعد على يد أبي الأسود الدؤلي.

وسواء أكان هذا أم ذاك فإن إعجام المصاحف لم يحدث على المشهور إلا في عهد عبد الملك بن مروان إذ رأى أن رقعة الإسلام قد اتسعت واختلط العرب بالعجم وكادت العجمة تمس سلامة اللغة وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف يلح بالناس حتى ليشق على السواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته وهي غير معجمة. هنالك رأى بثاقب نظره أن يتقدم للإنقاذ فأمر الحجاج أن يعنى بهذا الأمر الجلل وندب الحجاج - طاعة لأمير المؤمنين- رجلين يعالجان هذا المشكل هما نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني.

وكلاهما كفء قدير على ما ندب له. إذ جمعا بين العلم والعمل والصلاح والورع والخبرة بأصول اللغة ووجوه قراءة القرآن. وقد اشتركا أيضا في التلمذة والأخذ عن أبي الأسود الدؤلي.

ويرحم الله هذين الشيخين فقد نجحا في هذه المحاولة وأعجما المصحف الشريف لأول مرة ونقطا جميع حروفه المتشابهة والتزما ألا تزيد النقط في أي حرف على ثلاث. وشاع ذلك في الناس بعد فكان له أثره العظيم في إزالة الإشكال واللبس عن المصحف الشريف.

وقيل إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي وإن ابن سيرين كان له مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر. ويمكن التوفيق بين هذه الأقوال بأن أباالأسود أول من نقط المصحف ولكن بصفة فردية ثم تبعه ابن سيرين وأن عبدالملك أول من نقط المصحف ولكن بصفة رسمية عامة ذاعت وشاعت بين الناس دفعا للبس والإشكال عنهم في قراءة القرآن.[236]

هذا ما قيل في نقط المصحف وشكله، ولقد قلّبنا هذا القول ظهرا لبطن فوجدناه يجانب الصواب من كل ناحية. فمن أي ناحية رأيته رأيته ساقطا!

متى كان اختلاط العرب بالعجم؟

إن كان نقط الحروف وشكل الكلمات بسبب اختلاط العرب بالعجم، فمتى كان هذا الاختلاط؟ هل كان هذا الاختلاط في عهد عبد الملك بن مروان؟

لقد انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية كلها، وتمكّن فيها واستقرّ قبل أن يلحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، ولما استخلف سيدنا أبوبكر توجه إلى بلاد الروم، حتى ينوّرها بنور القرآن، ويخضعها لدولة الإسلام.

ثم خلفه سيدنا عمر بن الخطاب، وأكمل ما تبقى من عمله في بلاد الروم، ثم دقّ أبواب الفرس، وأرسل إليهم الجنود، وسيّر إليهم الجيوش، وأوفد إليهم الوفود، حتى دخل الإسلام، ودخل معه القرآن في كل بيت من بيوتهم، بعز عزيز أو ذل ذليل!

---

[236] مناهل العرفان في علوم القرآن- المصاحف تفصيلا:224/1

ولم ينحصر الإسلام في قارة آسيا، بل تجاوزها إلى عواصم أفريقيا، فكم من العجم دخلوا في الإسلام في عهد سيدنا أبي بكر، ثم في عهد سيدنا عمر بن الخطاب!

ثم خلفهما سيدنا عثمان بن عفان، وسار على طريقهما، ونسج على منوالهما، حتى كان للقرآن دويّ في غابات أفريقيا، ولم يبق مكان في آسيا ولا أفريقيا إلا ويرفرف فيه لواء الإسلام!

فلو كان القرآن غير منقوط وغير مشكول، لكان هؤلاء الخلفاء الراشدون أحق وأولى بأن ينجزوا هذا العمل، ويقوموا بنقط الحروف وشكل الآيات.

والأمر ما كان يحتمل التأجيل، فملايين وملايين من العجم قد دخلوا في الإسلام في عهدهم، وما كانوا يستطيعون أن يعيشوا بدون قرآن! وما كان الخلفاء الراشدون وأصحابهم ليتركوهم بدون قرآن! فالقرآن هو عماد الإسلام، ولا إسلام بدون قرآن!

لا يقرأ القرآن إلا كما قرأه رسول الله:

ثم الواجب في قراءة القرآن أن يقرأ كما نزل، وكما قرأه النبي عليه الصلاة والسلام، ولا يجوز أبدا أن يقرأ بكل ما يمكن من وجوه القراءات فيه.

ولم يثبت عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قرأ القرآن على وجوه مختلفة، وإنما كان يقرأ دائما قراءة واحدة، قراءة نزل بها جبريل.

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرءون القرآن كما يسمعون نبيهم، وما كانوا يقرءون بكل ما يمكن من وجوه القراءات.

ولم يثبت عن صحابة رسول الله، أنهم كانوا يقرءون القرآن على وجوه مختلفة، اللهم إلا ما روي من قصة عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، وهي كما يلي:

قال أبو عبد الله وقال الليث: حدثني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم ثم لببته بردائه، أو بردائي فقلت من أقرأك هذه السورة قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له كذبت فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله يا عمر اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا عمر فقرأت فقال هكذا أنزلت ثم قال إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه.[237]

لا حجة في رواية يحيط بها الغموض:

هذا ما رووه من قصة سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا هشام بن حكيم في قراءة القرآن على أكثر من وجه، وهذه القصة فيها غموض وإبهام شديد، فهي لا تعطينا صورة واضحة لنوعية الاختلاف في قراءتهما، ولا تفيدنا كيف قرأ هشام بن حكيم؟ وكيف قرأ عمر بن الخطاب؟ وماذا كان بين قراءتهما من فرق واختلاف؟

---

[237] صحيح البخاري- باب ما جاء في المتأولين : 6936/376/4

والرواية إذا كان يحيط بها مثل هذا الغموض وهذا الإبهام، فهي تفقد قيمتها العلمية، وليس فيها أيّ حجة لمن يقول: تجوز قراءة القرآن بكل ما يمكن من وجوه القراءات، كما ذهب إليه الزرقاني.

قصة سبعة أحرف:

وأما نزول القرآن على سبعة أحرف، فهو شيء قد تحير في تأويله جهابذة العلماء، واختلفوا فيه اختلافا شديدا، قال ابن العربي: لم يأت في معنى هذا السبع نص ولا أثر، واختلف الناس في تعيينها.

وقال الحافظ أبوحاتم بن حبان البستي:

"اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولا."[238]

والأقوال التي ذهبوا إليها لا تعدو أن تكون احتمالات لا يدعمها دليل، وإنما هي خواطر خطرت ببال أصحابها، ثم سارت وانتشرت!

ونزل هذا العدد في بعض الروايات من سبعة إلى ثلاثة، فقد روى الحاكم عن سمرة يرفعه:

"أنزل القرآن على ثلاثة أحرف."[239]

ثم اختلفوا هل تلك الأحرف باقية إلى الآن؟ أم كانت في بداية الأمر، ثم رفعت، أو نسخت واستقر الأمر على حرف واحد!

وهنا إشكال آخر، وهو أن القرآن إن نزل على سبعة أحرف، ثم نسخت أو رفعت ستة أحرف، وبقي حرف واحد، فمتى كان هذا النسخ؟ في حياة رسول

---

[238] الزركشي–البرهان في علوم القرآن– النوع الحادي عشر: 212/1

[239] المستدرك على الصحيحين–كتاب التفسير– ص: 577، رقم الحديث: 2939

الله؟ أم بعد وفاة رسول الله؟ وعلى أيّ أساس كان اختيار الحرف الواحد من بين السبعة أحرف؟

إن قيل كان هذا النسخ في حياة رسول الله، قيل من غير دليل؛ فإنه لم يرد في ذلك نص ولا أثر. وإن قيل كان هذا النسخ بعد وفاته عليه السلام، فمن يملك أن ينسخ شيئا من كتاب الله بعد رسول الله؟

وعلى أية حال، فتلك إشكالات تحيط بتلك الروايات التي تبيح قراءة القرآن على سبعة أحرف، فإن كان هناك من يصرّ على صحة تلك الروايات، على الرغم مما يحيط بها من إشكالات، فلا بأس بأن نعتبرها من جنس (المتشابهات)، والمتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله!

وروى الزركشي عن أبي جعفر محمد بن سعدان النحوي أنه قال: إنه من المشكل الذي لا يدرى معناه![240]

فمن الأفضل إذاً أن نمسك عن الكلام فيها، ونفوض أمرها إلى الله،كما هو الشأن في الآيات المتشابهات.

وأما قراءة القرآن فهي لا تجوز إلا كما قرأه سيدنا جبريل على رسول الله، وكما قرأه رسول الله على الناس، وإذاً فكيف يتيسر للناس أن يقرءوا القرآن كما قرأه رسول الله إلا إذا كان منقوطا، ومشكولا منذ وقت نزوله؟

هل له مثال في التاريخ؟

إن قلنا: نزل القرآن والعرب لا يعرفون نقط الحروف وشكل الكلمات، فهذا يعني أن اللغة العربية، التي اختارها الله لأن تكون لغة رسالته الخالدة

---

[240] البرهان في علوم القرآن–القول في القراءات السبع:213/1

العالمية، اختارها و لما تبلغ أشدّها، ولما تقارب نضجها، بل كانت في إبّان نشأتها، وكانت تحبو على إستها، أو كانت تزحف على الأرض؛ فإن حروف الهجاء في لغة العرب ثمانية وعشرون، أو تسعة وعشرون، على اختلاف فيها، فبعضهم يعدون الهمزة منها، وبعضهم لا يعدونها.

ونصف من تلك الحروف منقوط، ونصف منها غير منقوط، فإن قيل إن العرب في زمن نزول القرآن ما كانوا يعرفون النقط، فهذا يعني أنهم ما كانوا يعرفون الحروف المنقوطة، وإنما كانوا يعرفون الحروف الغير منقوطة.

وبلفظ آخر: هم ما كانوا يعرفون إلا نصف اللغة، والنصف الباقي كان ينتظر من يكتشفه!

وهنا يأتي سؤال: أول وحي نزل كان يشتمل على الحروف المنقوطة وغير المنقوطة، حيث قال تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.﴾(العلق: 1-5)

فكيف كان ذلك؟ وهل عرفوا تلك الحروف أم جهلوها واستوحشوا منها؟

قد يقال إن تلك الحروف كانت موجودة ومعروفة في النطق، ولكنها كانت غيرمعروفة في الكتابة!

نقول: هل يوجد له مثال في تاريخ الألسنة؟ هل وجد في التاريخ لسان يكون شأنه مثل ما يُحكى عن لسان العرب؟ فهو يشتمل على حروف منطوقة ومكتوبة، وأخرى منطوقة غيرمكتوبة؟ مع أن هذه المنطوقة غير المكتوبة لا تقلّ أهمية من المنطوقة المكتوبة، واللسان لا يكتمل بدونها!

لا ندري، كيف نستسيغ أن ننسب إلى العرب كل أمر غير معقول! وكيف نصدّق في شأنهم ما ليس له مثال في عالم الواقع!

الذين أسّسوا اللغة كانوا أقدر!

ومما لاشك فيه أن الذين وضعوا لسان العرب وأسسوه كانوا أقدر على وضع النقط من غيرهم، كانوا أقدر من كل من ذكرت أسماؤهم بهذا الصدد، سواء كان أبو الأسود الدؤلي، أو كان نصر بن عاصم الليثي، أو كان يحيى بن يعمر العدواني، أو كان أيّ واحد غيرهم!

والذين وضعوا الحروف الغير منقوطة ما كانوا عاجزين عن وضع الحروف المنقوطة؟

والقول في أمر الشكل لا يختلف عن القول في شأن النقط، فالحركات من فتحة، وكسرة، وضمّة، وتشديد جزء من لسان العرب، كما أن النقط جزء منه، والذين وضعوا اللسان كانوا أقدر على إدراك احتياجات اللسان، وكانوا أقدر على وضع الحركات، ووضع النُقَط من غيرهم.

الرقش والترقيش هو النقط والشكل:

وهناك لفظ يستعمله العرب منذ العصر الجاهلي، وهو الرقش والترقيش. وهو لفظ جامع يتضمن معنى النقط، ويتضمن معنى الشكل، ويتضمن معنى تحسين الخط، قال المرقش الأكبر:

هل بالدِّيارِ أَنْ تجُيبَ صَمَمْ ... لو كَانَ رَسْمٌ ناطِقاً كلَّمْ

الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كَمَا ... رَقَّشَ في ظَهْرِ الأَدِيْم قَلَمْ [241]

---

[241] المفضليات: 485/1

وقال طرفة بن العبد، وهو أيضا شاعر جاهلي:

أشجَاكَ الرَّبعُ أم قدَمُهْ ... أمْ رَمَادٌ، دارِسٌ حُمَمُهْ

كسُطُورِ الرّقّ، رَقّشَهُ ... بالضّحَى، مُرَقِّشٌ يَشِمُهْ [242]

والرَّقْشُ: الخَطُّ الحَسَنُ. والرَّقْشُ والتَّرْقِيشُ: الكِتَابَةُ والتَّنْقِيطُ، وبه سُمِّيَ المُرَقِّشُ.

والتَّرْقِيشُ أَيْضاً: الكِتَابَةُ في الصُّحُفِ.

وقال الأَزْهَرِيُّ: التَّرْقِيشُ: التَّسْطِيرُ في الصُّحُفِ.

والرَّقْشَاءُ: دُوَيبَةٌ تَكُونُ في العُشْبِ، وهي دُوْدَةٌ مَنْقُوشَةٌ مَلِيحَة، كالحُمْطُوطِ، فيها نُقَطٌ حُمْرٌ وصُفْر، قَالَهُ ابنُ دُرَيْدٍ [243]

والرَقشاء: الأَفعى، سميت بذلك لترقيش في ظَهرها وهي خطوط ونقط.

والرقْشاء من المعز: التي فيها نقط من سواد وبياض.

الأَصمعي: رُقَيْش تصغير رَقَش وهو تنقيط الخطوط والكتاب.[244]

فلا يستبعد أن تكون فكرة نقط الحروف، وشكل الكلمات قد جاءت من الرقشاء، وهي المعز التي فيها نقط من سواد وبياض، أو هي الحيات التي في ظهرها خطوط ونقط، أو هي دويّبة تكون في العشب، وهي دودة منقوشة مليحة.

والعرب كانوا أذكى الأمم، وكانوا أقربهم إلى الفطرة، وكانوا يفكرون في خلق الله، ويتعلمون منها، فلا عجب إذا دققوا النظر في الرقشاء، وتعلموا منها نقط الحروف وشكل الكلمات!

---

242 ديوان طرفة بن العبد: 84/1

243 تاج العروس من جواهر القاموس: ر ق ش

244 ابن منظور–لسان العرب– رقش

دليل من السنّة:

ومما يدل على وجود النقط وشيوعه في عهد رسول الله ما رواه الخطيب البغدادي:

أنا محمد بن علي بن الفتح الحربي، نا عمر بن أحمد الواعظ، نا محمد بن مخلد بن حفص العطار، نا رجاء بن سهل الصاغاني، نا أبو مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي، عن قيس بن عباد، عن محمد بن عبيد بن أوس الغساني، كاتب معاوية، قال: حدثني أبي، قال: كتبت بين يدي معاوية كتابا فقال لي:

يا عبيد ارقش كتابك، فإني كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا رقشته، قال: قلت وما رقشه يا أمير المؤمنين؟ قال: أعط كل حرف ما ينوبه من النقط.[245]

ومثله ما رواه الإمام السيوطي، قال:

روى المرزباني وابن عساكر عن عبيد بن أوس الغساني قال كتبت بين يدي معاوية كتابا فقال لي يا عبيد ارقش كتابك؛ فإني كنت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معاوية ارقش كتابك.

قلت: وما رقشه يا أمير المؤمنين؟ قال: أعط كل حرف ما ينوبه من النقط.[246]

هاتان روايتان تفيدان بلفظ صريح أن النقط كان معروفا لدى رسول الله وأصحابه، وتفيدان أنه كان معمولا به في الكتابات القديمة، وتفيدان أنه ليس شيئا محدثا في لسان العرب، بل ميلاده ميلاد اللسان نفسه، ونسبته إلى عهد عبد الملك بن مروان، وحجاج بن يوسف نسبة خاطئة مائة في المائة.

---

245 الخطيب البغدادي–الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 560/134/2، والسخاوي- فتح المغيث شرح ألفية الحديث- المسألة الثانية : 41/3

246 السيوطي–تدريب الراوي: النوع الخامس والعشرون–كتابةالحديث وضبطه- 66/2-67

دليل من الآثار:

وقد عُثر قديما على لوحة منقوشة في ضواحي مدينة الطائف، وكانت تلك اللوحة منصوبة على شاطئ نهر كبير حفر في عام خمسين من الهجرة، وقام بإعداد هذا النهر أحد عمال معاوية بن أبي سفيان بأمر منه.

وكثير من حروف تلك اللوحة كانت منقوطة.

وعثروا حديثا في أرض مصر على صحف قديمة، وتلك الصحف عبارة عن رسالتين كتبتا عام اثنين وعشرين من الهجرة في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، والرسالتان منقوطتان عموما.[247]

وإذا كان النقط موجودا شائعا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فلا غرو أن يوجد الشكل مع النقط؛ فإن النقط والشكل صنوان، وليس أحدهما أقلّ أهمية من الآخر من ناحية تقويم اللسان وضبطه.

كلام غير منقوط أقرب إلى العُجمة!

وهناك شيء آخر يجدر بالانتباه، وهو أنهم نقطوا الحروف التي من حقها أن تُنقط، وسموه (الإعجام) بمعنى إزالة العجمة، قال الزبيدي:

"أَعجَم (الكِتَابَ): خِلاف أَعْرَبَه، كما في الصِّحاح أي: (نَقَطَهُ)، وفي النِّهايَةِ: أَزَالَ عُجْمَتَه بالنَّقْطِ.

قُلتُ: نَصُّ الجَوْهَرِيِّ: العَجْمُ النَّقْطُ بالسَّوادِ، مِثْل التّاء عليها نُقْطَتَان، يُقالُ، أَعْجَمْتُ الحرفَ، والتَّعْجِيمُ مِثلُه، ولا تَقُل عَجَمْتُ. هذَا نَصُّه، وإليه ذَهَبَ ثَعْلَبٌ في فَصِيحِه، ومَشَى عليه أَكثرُ شُرَّاحِه.

---

[247] خطبات بهاولبور للبحاثة الدكتور محمد حميد الله- ص:241

وقال الأَزْهَرِيُّ: (سَمِعْتُ أَبَا الهَيْثَمَ يَقولُ: مُعْجَمُ الخَطِّ هو الذِي أَعْجَمَه كَاتِبُه بالنَّقْطِ، تَقُول: أَعْجَمْتُ الكِتابَ أُعْجِمُه إعْجامًا، ولا يُقالُ، عَجَمْتُه.

وقال ابنُ جِنِّي: أَعْجَمْتُ الكِتَابَ: أَزَلْتُ استِعْجَامَه. قال ابنُ سيدَه: وهو عِنْدِي على السَّلْبِ، لأنَّ أَفْعَلْتُ وإن كَانَ أَصْلُها الإِثْبَاتَ، فَقَد تَجِيءُ للسَّلْبِ، كقَوْلهِم:

أَشْكَيْتُ زَيْدًا، أي: زُلْتُ له عَمَّا يَشْكُوهُ، وقَالُوا: عَجَّمْتُ الكِتَابَ، فَجَاءَت فَعَلْتُ للسَّلْب أَيضًا. كما جاءَت أَفْعَلْت، ولَهُ نَظائِر ذُكِرَت في محَلِّها."[248]

وقال ابن الأَثير:"حروف المعجم حروف أ ب ت ث سميت بذلك من التَّعْجيم وهو إزالة العُجْمة بالنقط."[249]

معنى ذلك أن الآيات إذا كانت غيرمنقوطة، فهي أقرب إلى العجمة، والعجمة لا تزول إلا بنقط الحروف.

فإذا قلنا إن القرآن ظلّ غير منقوط، إلى أن جاء زمن عبد الملك بن مروان، فأمر الحجّاج بن يوسف، فكلّف الحجّاج من كلّف بالإعجام، أي نقط الحروف.

فهذا القول يجرّنا إلى قول آخر، يجرّنا إلى قول لا يرضاه أيّ مسلم عاقل، وهو أن القرآن ظلّ في عهد رسول الله، وفي عهد الخلفاء الراشدين في ضباب من العجمة، أو في حالة أقرب إلى العجمة!

فالكلام العربي بناؤه على النقط والشكل، وهو يتطلب بطبيعته أن يكون منقوطا، وأن يكون مشكولا، ولا يمكن تجريده من النقط و الشكل نهائيا، فإن جرّد منهما نهائيا، صار أقرب إلى العجمة، ولم يصدق عليه أنه كلام عربي مبين.

---

[248] الزبيدي–تاج العروس: ع ج م

[249] ابن منظور– لسان العرب: عجم

قصة المصاحف القديمة:

قد يقال: المصاحف التي عُثِر عليها في بطون التاريخ كلها عارية من النقط والشكل، فكيف تصحّ دعوى كونها منقوطة ومشكولة منذ عهد نزول القرآن؟

نقول: الحرب ضد القرآن قائمة منذ عهد نزوله، لم تهدأ ولم تفتر لفواق ناقة! وحملة أمانة القرآن قد يُخلدون إلى النوم، وقد تعتريهم غفوة في حين لآخر، ولكن الأعداء الحاقدين لا ينامون ولايفترون، وهم في سهر دائم للكيد ضد القرآن.

فالمصاحف التي عُثر عليها عاريةً من النقط والشكل قد تكون من تدبيرهم هُم، فهم الذين كتبوها كما أرادوا، ووضعوها في أماكن محترمة مرموقة مثل الجوامع الكبيرة، والمكتبات العامة، والمكتبات الخاصة، وبعد حقبة من الزمن طلّعوها من أماكنها، وجاءوا بها إلى الناس، وقالوا: هذا مصحف الخليفة الراشد سيدنا عثمان! وهذا مصحف الخليفة الراشد سيدنا علي بن أبي طالب!

وليس هناك أيّ دليل على كون المصحف مصحف سيدنا عثمان إلا أن عليه قطرات من دم! وما يدرينا أن هذا دم عثمان، أم جاءوا على مصحف بدم كذب؟! وليست قصة إخوة يوسف عنا ببعيد!

وجاءوا بمصحف آخر قديم، وقالوا هذا مصحف قد عُثر عليه في إحدى الكهوف، وكانت تحرسه ذريّة الثعابين منذ مدة لا يعلمها إلا الله! والمصحف كله غير منقوط وغير مشكول.

والقرائن تدل على أنه لا يكون إلا لأحد من الصحابة، فإن مصاحفهم كانت هكذا!

وهكذا جاءوا بمصاحف عارية من النقط والشكل، وأحاطوها بحكايات عجيبة تجعلها من نماذج الكرامات والمعجزات! والناس نظروا إليها بعين التقديس والتوقير، وصدّقوا كل ما حُكي عنها.

وإن وجد مصحف قديم، منقوط ومشكول، قيل: لا يمكن أن يكون هذا مصحف رسول الله أو مصحف أحد من الصحابة، لأنه منقوط ومشكول!

والمصاحف ما نقطت وما شكلت إلا بعد انصرام عهدهم، إنها ما نقطت وما شكلت إلا في زمن عبد الملك بن مروان!

قُلبت الحقائق بشكل رهيب!

وهكذا قُلبت الحقائق، وهكذا تُقلب، والناس يقبلونها بسهولة، ولا يترددون فيها، لأنه قد رسخ في أذهانهم، واستقرّ أن المصحف في عهد رسول الله كان غير منقوط وغير مشكول.

والدعايات الكاذبة المكثفة لها دورها في قلب الحقائق، وتثبيتها في الأذهان، فهي تجعل الأسود أبيض، والأبيض أسود، وتجعل الباطل حقا، والحق باطلا! ثم تجعل جنود الحق هي التي تحرس ذلك الباطل، ويبقى الحق بين أهله غريبا لا يُعرف ولا يحُمى!

فالمصاحف القديمة ليس فيها حجة، فإننا لا نملك الجزم في شأن أي مصحف منها بأنه مصحف أحد من أصحاب رسول الله، وكلما يقال فيها هو كيد وتضليل، أو ظن وتخمين ليس إلاّ!

وإنما الحجة البالغة أن القرآن لا يُقرأ إلا كما نزل، ولا يُقرأ إلا كما قرأه رسول الله، فإنه إذا اختلفت القراءة اختلفت المعاني، وإذا اختلفت المعاني اختلفت الأحكام، وإذا اختلفت الأحكام اختلّ النظام!

وتلك القراءة- قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم- ليس إليها سبيل إلا أن تكون المصاحف منقوطة ومشكولة منذ ذلك الحين.

ولا بأس بأن يقال: كان الاقتصار في عهد رسول الله على شكل مواضع لا يستغني عن شكلها عربٌ ولا عجمٌ، ثم لما فتحت الروم وفتحت الفرس، ودخل العجم في دين الله أفواجا، لم يكن حينئذ بد من شكل القرآن كله حتى لا يعجزوا عن قراءته، ولا يعجزوا عن فهمه وتعلمه.

وتمّ ذلك في عهد الشيخين بلا ريب، تمّ في عهد سيدنا أبي بكر الصديق، وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنهما، دون غيرهما من الخلفاء والملوك؛ فإن العجم دخلوا في دين الله أفواجا في عهد الشيخين، وخاصة في عهد سيدنا عمر، وأول هدية تُهدى إلى من دخل في دين الله هو كتاب الله العظيم، فالأمر ما كان يحتمل التأجيل، وكان لا بد أن ينجز توّة من غير تأخير!

والصحابة الكبار- تلامذة رسول الله – هم الذين قاموا بهذا العمل العظيم، وشكلوا الآيات على قراءة واحدة معروفة كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لحق بالرفيق الأعلى. ولم يكن هناك أيّ خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في تلك القراءة.

ولا قيمة لما يقال في الآيات إنها قُرِأت كذا، وقُرِأت كذا، وقرأ فلان كذا، وقرأ فلان كذا!! فإنه تشويه لصورة القرآن، ولبس لمعانيه ليس إلا!

ولا بأس بأن نمرّ على بعض النماذج من هذا التشويه:

نماذج لتلك القراءات:

قال الله تبارك وتعالى:

﴿إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .﴾

قال الإمام ابن جرير، وهو يذكر القراءات الواردة في الآية:

واختلفت القرأة في قراءة قوله: "يستطيع ربك".

فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين: (هَلْ تَسْتَطِيعُ) بالتاء (رَبَّكَ) بالنصب، بمعنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ أو: هل تستطيع أن تدعوَ ربَّك؟ أو: هل تستطيع وترى أن تدعوه؟ وقالوا: لم يكن الحواريون شاكِّين أن الله تعالى ذكره قادرٌ أن ينزل عليهم ذلك، وإنما قالوا لعيسى: هل تستطيع أنت ذلك؟

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والعراق: (هَلْ يَسْتَطِيعُ) بالياء (رَبُّكَ)، بمعنى: أن ينزل علينا ربُّك، كما يقول الرجل لصاحبه: "أ تستطيع أن تنهض معنا في كذا"؟ وهو يعلم أنه يستطيع، ولكنه إنما يريد: أتنهض معنا فيه؟ وقد يجوز أن يكون مرادُ قارئه كذلك: هل يستجيب لك ربك ويُطِيعك أنْ تنزل علينا؟[250]

وقال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.﴾

قال الإمام الشوكاني، وهو يذكر القراءات في هذه الآية:

قوله: {يُضَلُّ بِهِ الذين كَفَرُواْ} قرأ أهل الحرمين وأبو عمرو وابن عامر «يضلّ» على البناء للمعلوم. وقرأ الكوفيون على البناء للمجهول. ومعنى القراءة الأولى: أن الكفار يضلون بما يفعلونه من النسيء، ومعنى القراءة الثانية، أن الذي

---

[250] تفسير الطبري- سورة المائدة: 112، 5/129-130

سنّ لهم ذلك يجعلهم ضالين بهذه السنة السيئة، وقد اختار القراءة الأولى أبوحاتم، واختار القراءة الثانية أبو عبيد، وقرأ الحسن وأبو رجاء ويعقوب "يضل" بضم الياء وكسر الضاد على أن فاعله الموصول، ومفعوله محذوف. ويجوز أن يكون فاعله هو الله سبحانه، ومفعوله الموصول. وقرىء بفتح الياء والضاد من ضلّ يضلّ. وقرىء «نضلّ» بالنون."[251]

وقال صاحب الدر المصون:

"وقرأ أبو جعفر «ليوطِيُوا» بكسر الطاء وضم الياء الصريحة. والصحيح أنه يَنْبغي أن يُقْرأ بضم الطاء وحذف الياء؛ لأنه لما أبدل الهمزةَ ياءً استثقل الضمةَ عليها فحذفها، فالتقى ساكنان، فحُذِفَت الياء وضُمَّت الطاء لتجانِسَ الواو.

وقرأ الزهري «ليواطِيُّوا» بتشديدِ الياء. هكذا ترجموا قراءتَه وهي مشكلةٌ حتى قال بعضهم: «فإن لم يُرِدْ به شدة بيان الياء وتخليصها مِنَ الهمز دون التضعيف، فلا أعرف وجهها». وهو كما قال."[252]

وقال تبارك وتعالى:

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.﴾

قال الإمام الزمخشري:

وقرئ «إن الله» بالكسر، لأنّ الأذان في معنى القول وَرَسُولِهِ عطف على المنوي في بَرِيءٌ أو على محل «إن» المكسورة واسمها: وقرئ بالنصب، عطفاً

[251] الشوكاني- فتح القدير- سورة البراءة- رقم الآية: 37، 451/2

[252] الدر المصون في علم الكتاب المكنون- سورة البراءة

على اسم «إن» أو لأنّ الواو بمعنى مع: أى بريء معه منهم، وبالجرّ على الجوار. وقيل: على القسم.[253]

وقال تبارك وتعالى:

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا.﴾

قال الزمخشري:

تَزاوَرُ أى تمايل، أصله: تتزاور، فخفف بإدغام التاء في الزاى أو حذفها. وقد قرئ بهما. وقرئ: تزورّ. وتزوارّ: بوزن تحمرّ وتحمارّ، وكلها من الزور وهو الميل.[254]

وقال تبارك وتعالى:

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لجُّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لمَ ْيَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لمَ ْيجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ.﴾

قال القاضي ابن عطية:

"وقرأ سفيان بن حسين «أوَ كظلمات» بفتح الواو، وقرأ جمهور السبعة «سحابٌ» بالرفع والتنوين «ظلمات» بالرفع، وقرأ ابن كثير في رواية قنبل «سحابٌ» بالرفع والتنوين «ظلمات» بالخفض على البدل من «ظلمات» الأول،

---

[253] تفسير الكشاف- سورة براءة- رقم الآية:3، 237/2

[254] الزمخشري- تفسير الكشاف-سورة الكهف رقم الآية: 17، 680/2

وقـرأ ابـن أبي بـزة عـن ابـن كثـير «سـحابُ» بغـير تنـوين عـلى الإضـافة إلى الظلمات."[255]

وقال الشوكاني:

وقـرأ ابـن محيصـن، والبـزي: «سـحاب ظلـمات» بإضـافة سـحاب إلى ظلمات، ووجه الإضافة: أن السحاب يرتفع وقت هذه الظلـمات، فأضيف إليهـا لهذه الملابسة. وقرأ الباقون بالقطع، والتنوين.[256]

ما ذا وراء هذه الفكرة؟

تلك نبذة يسيرة مما روي لنا في كتب التفسير من قراءات، فلننظر فيهـا بدقـة وتمعّن، ثم لننظر، أ ليس في تلك القراءات تشويه لجمال القرآن؟

ولـو أن شخصـا، ولـو كـان إمامـا في البلاغـة والأدب، وكـان عنـده تـذوق للكلام، لو نظر في تلك القراءات، ولم يرجع إلى القـرآن مباشرة، هـل يجـد في تلك الآيات أيّ روعة، وأيّ جاذبيّة، وأي بلاغة؟

ولـيس ذلـك فحسـب، بـل الأمـر أكـبر مـن ذلـك؛ فكـلام واحـد إذا اختلـف شكله، واختلف نقطـه، لا يبقـى كلامـا واحـدا، فقولنـا- مـثلا-: (أَكـرَمَ الأسـتاذُ) و(أُكرِمَ الأستاذُ) و(أُكرِمُ الأستاذَ) و(أَكْرِم الأستاذَ) لا يكون كلاما واحدا، بل هو كلام متعدد باختلاف الشكل، وبـاختلاف الحركـات، وإن بقـي اللفـظ كـما هـو، ولـم يحدث في حروفه أيّ نقص أو زيادة، وأي تقديم أو تأخير.

---

[255] ابن عطية- المحرر الوجيز-سورة النور-رقم :40، 395/6

[256] فتح القدير- سورة النور- رقم الآية: 40، 51/4

باختلاف الحركات تصبح الآية آيات!

والأمر في شكل الآيات لا يختلف عن ذلك، نأخذ- مثلا- قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ.﴾

فقد قرأه الناس عدة قراءات، قال ابن عطية:

"وقرأ جمهور الناس: بكسر الميم للالتقاء في قوله: {ولما يعلم} وقرأ يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي: «ولما يعلم» بفتح الميم إتباعاً لفتحة اللام، وقرأ الجمهور «ويعلمَ» على النصب بإضمار - أن- عند البصريين، وبواو الصرف عند الكوفيين وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قرأ: «ويعلمُ» بالرفع على استئناف الفعل، وقرأ الحسن بن أبي الحسن ويحيى بن يعمر وأبو حيوة وعمرو بن عبيد: «ويعلمِ» بكسر الميم جزماً معطوفاً على قوله {ولما يعلم}"[257]

فكل قراءة من تلك القراءات تحمل دلالة لا تحملها أختها، فلا تبقى الآية آية واحدة، إذا اختلف الشكل واختلفت الحركات، بل هي تصبح آيات.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.﴾

---

[257] المحرر الوجيزفي تفسيرالكتاب العزيز-سورةآل عمران: 142، 369/2

قال القاضي ابن عطية، وهو يفسر تلك الآية:

"قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة «وأرجلِكم» خفضاً وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأرجلكم نصبا، وروى أبو بكر عن عاصم الخفض، وروى عنه حفص النصب، وقرأ الحسن والأعمش «وأرجلُكم» بالرفع المعنى فاغسلوها، ورويت عن نافع، وبحسب هذا اختلاف الصحابة والتابعين، فكل من قرأ بالنصب جعل العامل اغسلوا، وبنى على أن الفرض في الرجلين الغسل بالماء دون المسح، وهو رأى الجمهور وعليه علم فعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو اللازم من قوله صلى الله عليه وسلم وقد رأى قوماً يتوضؤون وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته، «ويل للأعقاب من النار».

ومن قرأ بالخفض جعل العامل أقرب العاملين، واختلفوا، فقالت فرقة منهم، الفرض في الرجلين المسح لا الغسل وروي عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان، وروي أن الحجاج خطب بالأهواز فذكر الوضوء فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه «فاغسلوا» بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فسمع ذلك أنس بن مالك فقال صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى: {فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم} قال وكان أنس إذا مسح رجليه بلهما.

وروي أيضاً عن أنس أنه قال: نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل. وكان عكرمة يمسح على رجليه، وليس في الرجلين غسل، إنما نزل فيهما المسح.

وقال الشعبي: نزل جبريل بالمسح، ثم قال: ألا ترى أن التيمم يمسح فيه ما كان غسلاً، ويلغى ما كان مسحاً. وروي عن أبي جعفر أنه قال: امسح على

رأسك وقدميك، وقال قتادة: افترض الله غسلتين ومسحتين، وكل من ذكرنا فقراءته «وأرجلِكم» بكسر اللام، وبذلك قرأ علقمة والأعمش والضحاك وغيرهم، وذكرهم الطبري تحت ترجمة القول بالمسح، وذهب قوم ممن يقر بكسر اللام إلى أن المسح في «الرجلين» هو الغسل.[258]

هذا ما ذكره القاضي ابن عطية وغيره من أئمة التفسير في تأويل هذه الآية مع ما فيها من تعدد القراءات، وقد اختلط فيه الحابل بالنابل، والتبس فيه الغث بالسمين؛ فالصحابة لم يكن فيهم أيّ اختلاف في القراءات، وإنما كانوا يقرؤون – كلما قرؤوا – قراءة واحدة، كما أن نبيهم ونبينا عليه الصلاة والسلام كان يقرأ – كلما قرأ– قراءة واحدة. وقد سبق أن أفضنا فيه القول، وفصلناه تفصيلا.

وما نسب إلى صحابة رسول الله من اختلافهم في قراءة القرآن فرية بلا مرية، وأبعد شيء عن الواقع، وهي حكايات ما لها خطم ولا أزمة، وما كان لتلك الحكايات أن تتسرب إلى تراثنا لولم نتساهل في قبولها.

ومن المستحيل أن تحتمل الآية حكمين مختلفين متناقضين، وإن قُرِأت الآية قراءتين، وكل قراءة لها دلالة تختلف عن دلالة أختها، بحيث لا يمكن التوفيق بينهما، فهذا لا يعني إلا أننا جعلنا الآية آيتين، أو أكثر، وإن كنا نحسبها آية واحدة! فكان أمرنا كمن سيل به وهو لا يدري!

وأما ما قيل من تأويل لفظ المسح إلى معنى الغسل في الآية، فهو لا يخلو من تكلف، والعرب الأقحاح لم يستعملوا قط لفظ المسح بمعنى الغسل.

فأمر شكل الكلمات جزافا، وقراءة الآيات من غير التزام بما قرأه رسول الله أمر خطير جدا، فكم تتغير الأحكام، وكم تتغير المعاني باختلاف الشكل، وما

---

[258] المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز– سورة المائدة، 3/118-119

كان الله ليترك قراءة كتابه على الفهم والاجتهاد، ولو تركه على الفهم والاجتهاد، لكنا طرائق قددا، وأصبحنا كما قيل:

وأصبح القوم أيادي سبا ... هنا وهنا ما لهم من نظام

ولم يتيسر لنا إذاً أن يجتمع شملنا، وينتظم أمرنا، وتستقيم سبلنا، ولم يتيسر لنا أن نكون أمة واحدة، ذات رسالة واحدة، وشريعة واحدة!

ولا يعزبنّ عن بالنا قول الله سبحانه:

﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا.﴾[259]

وقوله تبارك وتعالى:

﴿لَا تحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ.﴾

فرسول الله عليه الصلاة والسلام كان يقرأ القرآن كما قرأه عليه سيدنا جبريل عليه السلام بوحي من الله جلّ وعلا، وأصحابه رضي الله عنهم كانوا يقرءون كما سمعوا نبيهم عليه السلام يقرأ، والذين جاءوا من بعدهم ملزمون حتماً بأن يقرءوه كما سمعوا أصحابه عليه السلام يقرءون.

وهذه القراءة الثابتة المتواترة لا يمكن استمرارها على ما هي عليه إلا إذا كان القرآن مشكولا مذ عهد نزوله على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

باختلاف النقط تصبح الآية آيات!

والأمر في اختلاف النقط مثل الأمر في اختلاف الشكل، فقولنا- مثلا-: (يأكل السمك) و(تأكل السمك) و(نأكل السمك) لا يعتبر كلاما واحدا، بل هو كلام متعدد باختلاف النقط، ولكل كلام موضعه، لا يصلح فيه الآخر. فقوله تعالى:

---

[259] سورةالإسراء:106

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

إن قُرئ: (نرتع ونلعب) كما قرأه من قرأه من القراء، حيث قال ابن الجوزي:

قوله تعالى: {يرتع ويلعب} قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو «نرتع ونلعب» بالنون فيهما، والعين ساكنة؛ وافقهم زيد عن يعقوب في «نرتع» فحسب.[260]

فهذا لايعتبر كلاما واحدا، بل هو كلام وذاك كلام، وذلك باختلاف النقط فقط.

وهكذا قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.﴾

قال الإمام البغوي في تأويله:

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا} قرأ عاصم " بُشرا" بالباء وضمها وسكون الشين، هاهنا وفي الفرقان وسورة النمل، ويعني: أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالى:(الرياح مبشرات) [الروم – 46]، وقرأ حمزة والكسائي "نشرا" بالنون وفتحها، وهي الريح الطيبة اللينة، قال الله تعالى: (والناشرات نشرا) [المرسلات – 3]، وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين، وقرأ الآخرون بضم النون والشين، جمع نشور، مثل صبور وصبر ورسول ورسل، أي: متفرقة وهي الرياح التي تهب من كل ناحية.[261]

---

260 زاد المسيرفي علم التفسير–سورة يوسف

261 البغوي– معالم التنزيل– سورة الأعراف:57، 238/3

ف(بُشْراً) و(نَشْراً) و(نُشْراً) و(نُشُراً) أربع كلمات، وإذا قُرِأت الآية على هذه الكلمات الأربع، فهي لا تكون آية واحدة، بل هي أربع آيات، فأيّ هذه الأربع نزل بها سيدنا جبريل عليه السلام؟

والذي نزل به سيدنا جبريل هو الذي يعتبر كلام الله، وما عدا ذلك مما قرأه الناس، فهو كلام الناس، وليس كلام الله!

وهنا يقف الناظر، ويتساءل: ماذا وراء فكرة تعرّي القرآن من النقاط والحركات؟ وهل هي إلا تمهيد وتخطيط لتحريف القرآن، وتشويه صورته، وتجريده من الروعة والبلاغة والإعجاز؟!

وهل هي إلا مكر وتدبير للبس معاني القرآن ومفاهيمه على الناس؟!

فنحن في غنى - والحمدلله - عما قرأه فلان، وفلان، وفلان! ويكفينا ما قرأه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذي قرأه رسول الله – صلى الله عليه وسلم - هو الصحيح، وفيه الخير كل الخير، وفيه الهدى والنور، وفيه العلم والحكمة، وفيه الروعة والجمال، وفيه البلاغة والإعجاز.

ومما لا شك فيه أن القراءة التي قرأها رسول الله، وترك عليها الأمة، هي التي تقرأ في الحرمين الشريفين منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، وتقرأ في معظم أصقاع العالم.

والقراءة التي تقرأ في الحرمين الشريفين، ليست قراءة عاصم ولا غير عاصم، وإنما هي قراءة رسول الله، التي قرأها طول حياته، وقرأها الصحابة كلهم بقراءته، وتناقلتها الأجيال بعد الأجيال حتى وصلت إلينا كما نزلت، من غير تحوير أو تبديل.

والحمد لله على أن منع تلك الأيدي الخفية من أن تمتدّ إلى تلك القراءة الرائعة الجميلة الحكيمة المباركة، ولم يأذن لها أن تدقّ هذا الباب المنيع، وتقتحم هذا الحصن الحصين، فلنعضّ عليها بالنواجذ، ولنستغن عما عدا تلك، فليس لنا فيها خلّ ولا خمر.

❋❋❋❋❋❋

الخاتمة

هذا ما أردنا أن نبوح به فيما يتعلق بتاريخ جمع القرآن وتدوينه، وحفظه وتحصينه، ويمكن تلخيص تلك البيانات في النقاط التالية:

* القرآن العظيم كله كان مرتبا ومدوّنا بين الدفتين في حياة رسول الله، والخلفاء الراشدون لم يفعلوا أكثر من أن نشروه في الآفاق، وطبّقوه في واقع الناس، وأقاموا على أساسه خلافة عادلة راشدة.

* القرآن العظيم لم يكن محصورا في أشخاص، بل كل من المسلمين والمسلمات كانوا يكتبون القرآن، وكانوا يحفظونه، ويدرسونه، وكانت نسخ القرآن في حياة رسول الله بقدر عدد المسلمين والمسلمات.

* وحي القرآن كان يكتب ساعة نزوله، من غير تأخير. وماكان يكتبه شخص، أو أشخاص، بل كان يكتبه كوكبة من المؤمنين.

* كلما نزل الوحي تلاه رسول الله على جمهور المؤمنين. كان يتلوه أولا على الرجال، ثم يتلوه على النساء، وبعد ذلك كانت له جلسات متتابعة مع المؤمنين، يتلو عليهم الآيات، ويمليها عليهم، ويعلمهم إياها، ويزكيهم بها.

* أصحاب رسول الله كلهم كانوا يعرفون القراءة والكتابة، والذي لم يعرفها لم يلبث أن تعلمها، وكلهم كانوا يحرصون على كتابة الوحي رجالا ونساءً، فرسول الله كان يتلو عليهم الوحي وهم كانوا يكتبون.

* الذين كانوا يحذقون الكتابة ، ويجيدونها كانوا يُدعون بصفة خاصة لكتابة الوحي، وكان ذلك من شدة الاهتمام بالضبط والإتقان في كتابة الوحي. وهم الذين عُرفوا بكتبة الوحي.

* كان عند رسول الله اهتمام خاص بمن يحذقون الكتابة، وكان ينظر فيما كتبوه بدقّة، وإذا كان فيه سقط أقامه، حتى تكون كتاباتهم بريئة من أيّ خطأ، وتكون مرجعا لمن غابوا، ومرجعا لمن شكّ في شيء مما كَتب.

* الوحي كان يكتب دائما على الرقّ والأديم والقرطاس، وتلك الأشياء كانت متوافرة للجميع من غير شحّ، والعرب لم يستخدموا للكتابة غير تلك الأشياء حتى في عصور الجاهلية، وقبل أن تطلع شمس النبوة، وأما الكتابة على العُسُب واللخاف، والعظام وما إلى ذلك، والتي وردت بها الروايات في سياق كتابة الوحي، فلم نعثر لها على أثر في أحوال العرب.

* كل وحي كان يكتب في مكانه من كتاب الله، وسيدنا جبريل عليه السلام هو الذي كان يعلّم مواقع الآيات، فلم يأت على الوحي زمان إلا وهو مرتّب حسب اللوح المحفوظ، وحينما جاء آخر وحي من كتاب الله، ووُضِع في مكانه، كان القرآن كاملا مرتباً، ولم يكن بحاجة إلى ترتيب جديد.

* لم يكن في القرآن أيّ نسخ، وأيّ تبديل حتى يكون مانعا من تدوينه قبل اكتمال الوحي، فالقرآن جاء لينسخ ما يخالفه، وما جاء لينسخ نفسه. وجاء ليبدّل غيره، وما جاء ليبدّل نفسه، وكل حرف نزل من القرآن موجود محفوظ، بله الآيات والسور، وهو محكم وماض إلى يوم القيامة.

* المسلمون كانوا يُعنون بحفظ القرآن، وكانوا يُعنون بمدارسة القرآن، كما كانوا يُعنَون بخطّ القرآن وكتابة القرآن، والذين كانوا يتقنون الحفظ والفهم

هم الذين كانوا يسمَّون القرّاء. والقراء في أصحاب رسول الله كانوا آلافاً وآلافاً. وكانوا بحيث لا يحصون.

* والقرآن العظيم في عهد رسول الله كان منقوطا، وكان النقط يعمّ الآيات كلها منذ نزولها؛ فإن الكلام العربي تسوده العجمة إذا كان غير منقوط، ولا يكون الكلام عربياً مبيناً إلا إذا كان منقوطا.

* وكان القرآن مشكولا كما كان منقوطا، ولكن الشكل قد يُقصر على مواضع اللبس والإشكال، إن كان لأبناء الضاد، فلا يُشكَلُ إلا ما يُشكِلُ، ولعل أصحاب رسول الله فعلوا كذلك، حينما كتبوا لأنفسهم، ولكنهم حينما كتبوا للعجم بعد وفاة رسول الله في عهد الراشدين شكلوا تلك المصاحف كاملة، وشكلوها على القراءة التي كان يقرؤها رسول الله.

* والصحابة لم تكن عندهم قراءات مختلفة للقرآن، وإنما كانوا يقرءون القرآن قراءة واحدة، هي قراءة رسول الله. وكلما ورد في الروايات من اختلافهم في قراءة القرآن، وفي عدد آياته وسوره لا يخلو من إشكال.

* توحيد القراءات لا يمكن إلا إذا كانت الآيات منقوطة ومشكولة، والنقط والشكل كان موجودا في العرب من قبل نزول القرآن؛ فإن اللغة العربية مبنيّة على نقط الحروف وشكل الكلمات، ولن تكون اللغة بالغة ناضجة إلا بعد النقط والشكل.

* ما سُمع أيّ كتاب محترم في العالم يُقرء على قراءات مختلفة، فإن اختلاف القراءات يؤدي إلى اختلاف المعاني واختلاف الأحكام، وقد يؤدي إلى تعارض المعاني وتضارب الأحكام، وليس من شأن أيّ كتاب محترم أن يكون جامعا لمعان متعارضة وأحكام متضاربة.

والقرآن أولى أن يكون بريئا من هذا العيب، وأبعد من أن يُقرأ على قراءات مختلفة؟

******

تلك نقاط أساسية تتصل بتاريخ جمع القرآن وتدوينه، وهي التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث المتواضع، فنشكر الله سبحانه وتعالى على ما هدانا إليه، نشكر له سبحانه شكرا يليق بجلاله وعظمة سلطانه. فما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله.

هذا، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

******

ثبت المراجع

1. القرآن الكريم

2. الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الرابعة: 1398ه-1978م

3. أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان. الطبعة: 1415ه- 1994م

4. الإصابة في تمييز الصحابة للامام الحافظ شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان.

5. إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1416ه – 1996م

6. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان.

7. الأمالي في لغة العرب لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، الناشر: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

8. الأنوار ومحاسن الأشعار لأبي الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، نقلا من المكتبة الشاملة.

9. بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1413ه-1993م

10. البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى: 1408 ه - 1988 م

11. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1376ه - 1957م

12. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، الناشر : دار صعب. بيروت. الطبعة الأولى: 1968م

13. تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان. الطبعة: 1414ه — 1994م

14. تاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي، الناشر: مطبعة الفتح بجده. الحجاز. الطبعة الأولي 1365ه-1946م

15. التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.

16. التبيان في آداب حملة القرآن للنووى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر.

17. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان. 1414ه- 1993م

18. تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د/عاصم بن عبد الله القريوني، الناشر: مكتبة المنار، الأردن. الطبعة الأولى.

19. تفسير نظام القرآن لعبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، اعظم كره، يوبي. الهند. الطبعة الأولى: 2008م

20. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر.

21. تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1412ه- 1992م

22. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. 2001م

23. تهذيب التهذيب للامام الحافظ شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى: 1404 ه - 1984 م

24. تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1418ه- 1998م

25. التوحيد لابن منده، الناشر: دار الهدى النبوي، مصر- دار الفضيلة، السعودية. الطبعة الأولى: 1428ه- 2007م

26. الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى: 1395ه – 1975م

27. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1417ه – 1996م

28. الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين القرطبي، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1425ه – 2005م

29. جمهرة البلاغة لعبد الحميد الفراهي، الناشر: الدائرة الحميدية، أعظم كره، يوبي، الهند. الطبعة الأولى.

30. جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد دكن، الهند.

31. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1409ه- 1988م

32. الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري، نقلا من المكتبة الشاملة.

33. خطبات بهاولبور (باللغة الأردية) للبحاثة الدكتور محمد حميد الله، بيكن بكس، اردو بازار، لاهور. باكستان. الطبعة: 2005م

34. الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

35. ديوان صفي الدين الحلي، نقلا من المكتبة الشاملة.

36. ديوان عبد الغني النابلسي، نقلا من المكتبة الشاملة.

37. ديوان حسان بن ثابت لحسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: الدكتور وليد عرفات، الناشر: دار صادر، بيروت. لبنان. الطبعة: 1984م

38. ديوان لقيط بن يعمر الإيادي، تحقيق وتقديم: الدكتور عبد المعيد خان، الناشر: دارالأمانة- مؤسسة الرسالة- بيروت. لبنان. 1391ه- 1971م

39. ديوان امرئ القيس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الخامسة: 1425ه – 2004م

40. ديوان حاتم الطائي، الناشر: دار صادر، بيروت. لبنان. الطبعة: 1401ه – 1981م

41. ديوان طرفة بن العبد، الناشر: دار صادر، بيروت. لبنان.

42. زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة: 1404ه

43. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دارالمعرفة، بيروت. لبنان. 1400ه، نقلا من المكتبة الشاملة.

44. السيرة لابن حبان، نقلا من المكتبة الشاملة.

45. السيرة النبوية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق:مصطفي عبدالواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان. 1396ه- 1971م

46. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي ، الناشر: مؤسسة الرسالة.

47. سيرة ابن إسحاق لمحمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق وتعليق: الدكتور محمدحميد الله، الناشر: ادارة النشر والتوزيع، قونية. تركيا- 1401ه- 1981م

48. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدرآباد، الطبعة الأولى: 1344 ه

49. السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1411ه- 1991م

50. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر: دار إحياء التراث العربى بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1421ه- 2000م

51. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية: 1425ه- 2004م

52. سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام الدارمي، دار إحياء السنة النبوية بعناية: محمد أحمد دهمان.

53. سنن سعيد بن منصور، الناشر: دار الصميعي، الطبعة الأولى: 1414ه

54. شرح معاني الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى: 1414 ه، 1994 م

55. شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي- دمشق. بيروت. الطبعة الثانية: 1403ه - 1983م

56. شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1415ه-1994م

57. شرح النووي على مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة. الطبعة الأولى: 2001م

58. شرح المعلقات السبع للزوزني للحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا. بيروت.

59. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية: 1388ه- 1968م

60. الصحاح في اللغة لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية. 1402ه- 1982م

61. صحيح البخاري للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، الناشر: دارالكتب العلمية، بيروت. لبنان.

62. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل. بيروت. - دار الآفاق الجديدة بيروت.

63. صحيح ابن خزيمة لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت. لبنان. الطبعة: 1390ه – 1970م

64. صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان. الطبعة الثانية: 1414ه- 1993م

65. صحيح كنوز السنة النبوية لبارع عرفان توفيق، نقلا من المكتبة الشاملة.

66. الضعفاء لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى.

67. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد أبو عبد الله البصري، الناشر: دارالكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الثانية: 1418ه- 1997م

68. العباب الزاخر واللباب الفاخر للحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية، طباعة دارالرشيد للنشر، العراق. الطبعة: 1980

69. العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الأولى: 1408ه– 1988م

70. فتح المغيث شرح ألفية الحديث لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق وتعليق: الشيخ علي حسين علي، الناشر: دار الامام الطبري، الطبعة الثانية: 1412ه-1992م

71. فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة: 1417ه- 1997م

72. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبوالفضل العسقلاني، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض. الطبعة الأولى: 1418ه- 1997م

73. الفصل في الملل والأهواء والنحل لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1416ه – 1996م

74. الكامل في التاريخ لعز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف ب " ابن الأثير"، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان. الطبعة الثالثة: 1400ه- 1980م

75. كتاب الاعتصام للعلامة أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

76. كتّاب النبي للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت. لبنان.

77. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للعلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1415ه- 1995م

78. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة: 1401ه-1981م

79. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 2000م

80. لله ثم للتاريخ للسيد حسين الموسوي من علماء نجف، الناشر: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

81. المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر، بيروت. لبنان.

82. المحرر الوجيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، الطبعة الثانية: 1428ه- 2007م

83. المحلى لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

84. المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1422ه- 2002م

85. مسند أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب- بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1419ه - 1998 م

86. مسند الحميدي لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: عالم الكتب، بيروت. لبنان.

87. مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار) لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. الطبعة الأولى: 1988م

88. مصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، الناشر: الدار السلفية الهندية القديمة.

89. معالم التنزيل لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة: 1417ه - 1997م

90. معجم رجال الحديث للخوئي، مركز نشر الثقافة الإسلامية.

91. المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان. 1406ه— 1985م

92. معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر- الرياض. الطبعة الأولى: 1419 ه - 1998م

93. مفاتيح الغيب للإمام محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى، الناشر: دار إحياء التراث العربى بيروت. لبنان. الطبعة الثانية: 1417ه- 1997م

94. مفردات القرآن لعبد الحميد الفراهي، تحقيق: الدكتور محمد أجمل ايوب الإصلاحي، الناشر: الدائرة الحميدية، اعظم كره، يوبي. الهند. الطبعة الثانية: 2004ه

95. المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داودى، الناشر : دار العلم الدار الشامية، دمشق. بيروت.1412 ه

96. المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين.

97. المقامات لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جارالله، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1402ه – 1982م

98. مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

99. ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. لبنان.

100. نزهة المجالس ومنتخب النفائس لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، مكتبة القاهرة، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة. 1998م

101. النكت والعيون (تفسير الماوردى)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان.

102. نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان. الطبعة الأولى: 1424 ه – 2004 م

الفهرس